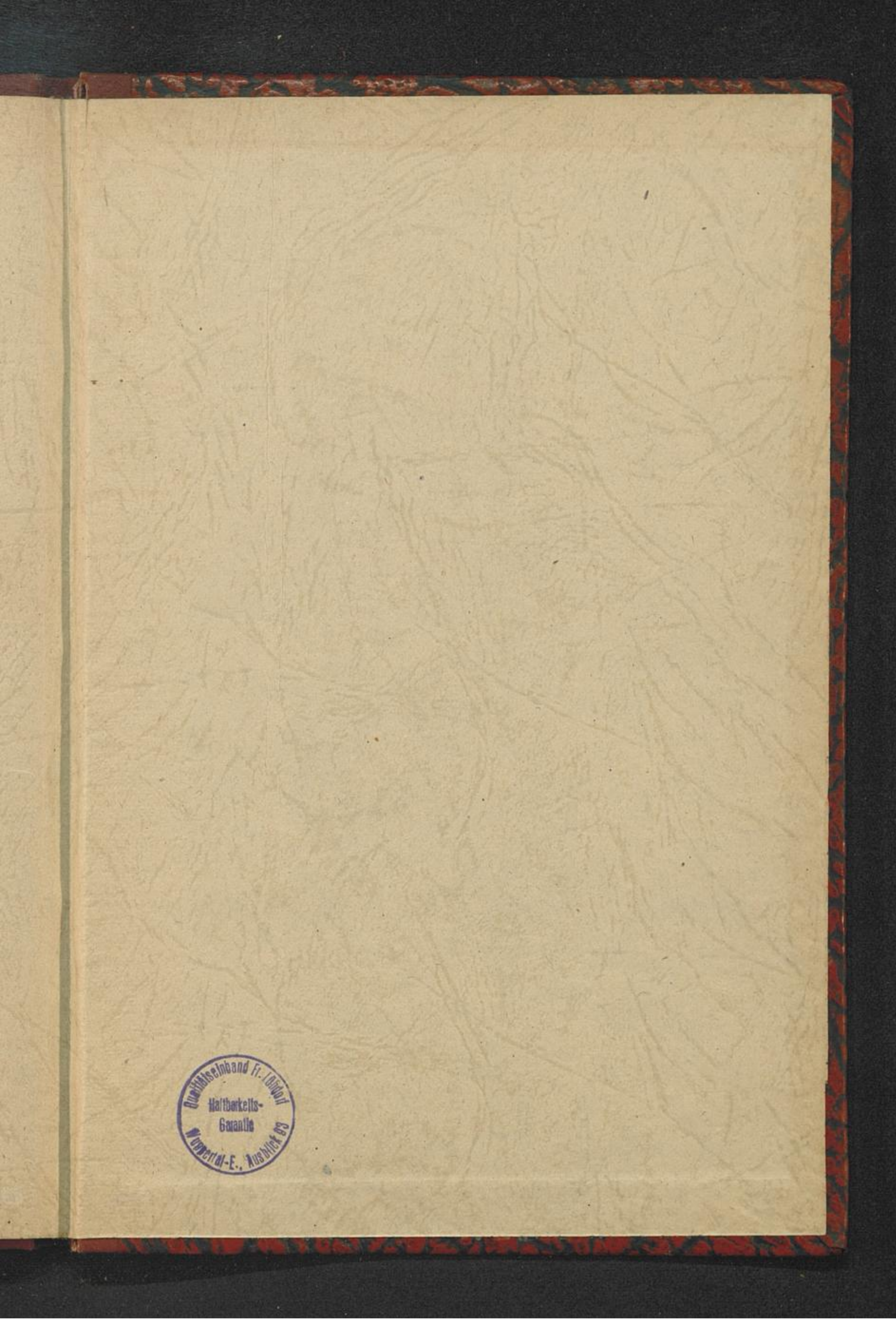
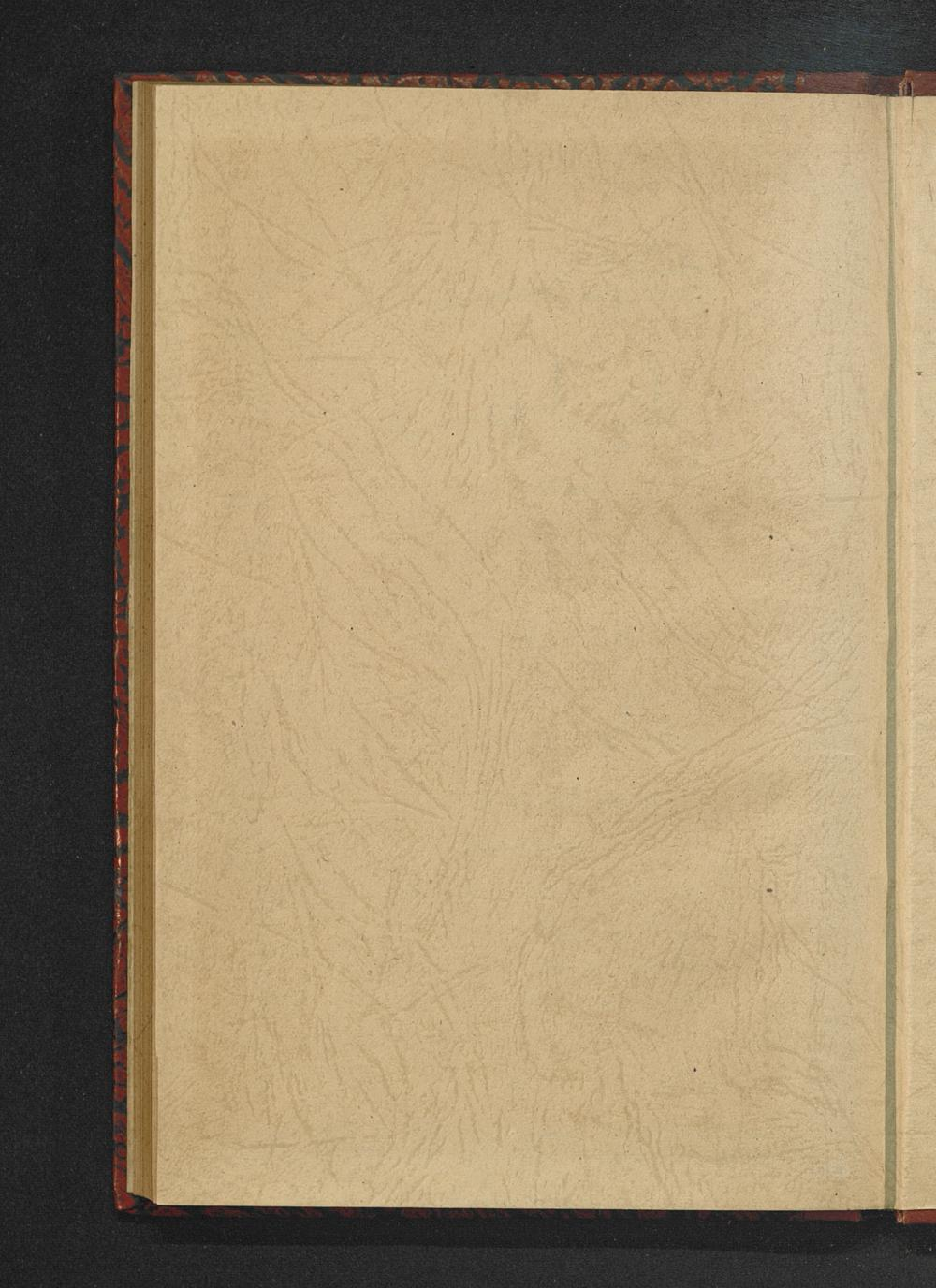
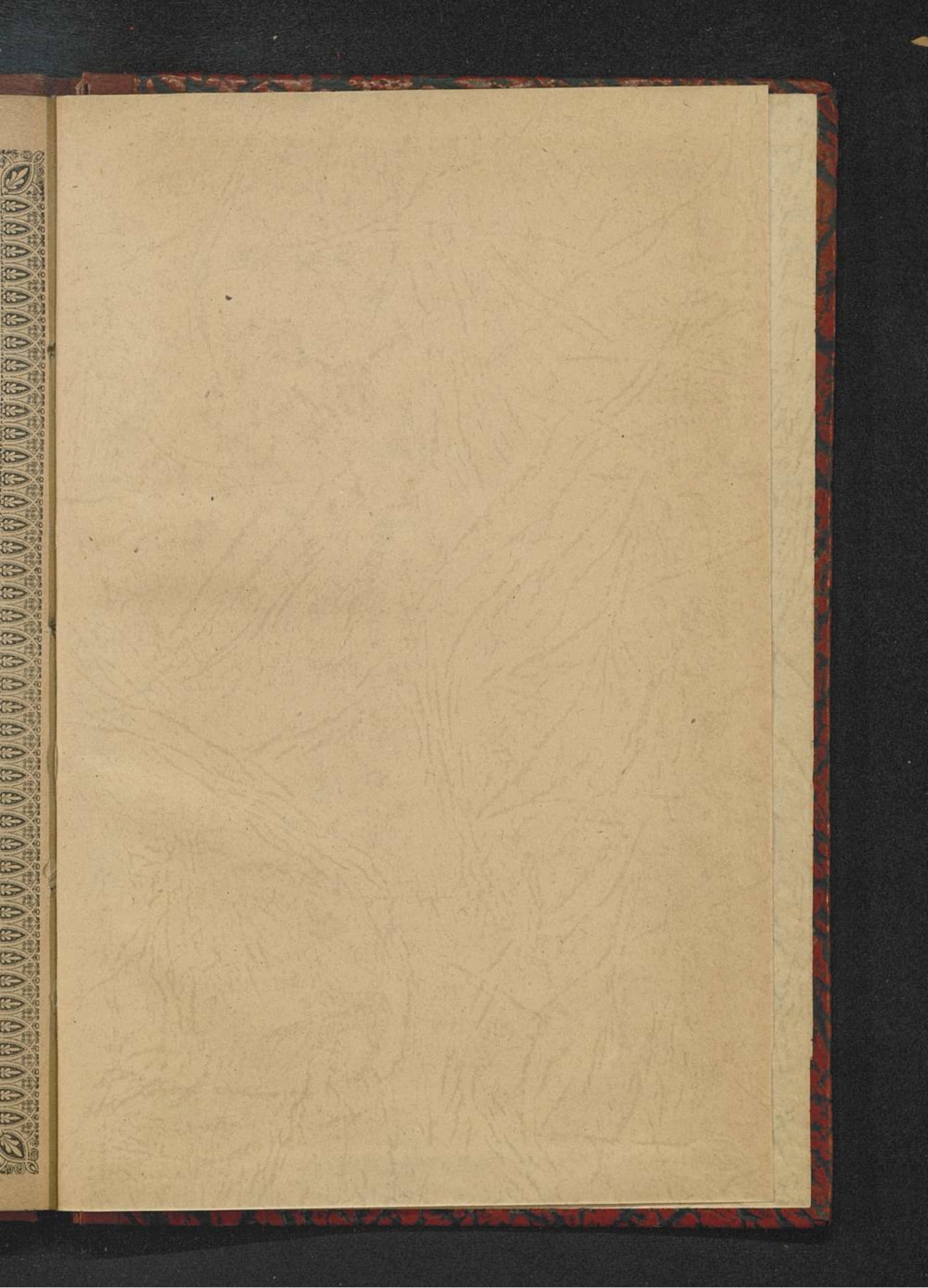



Qualitätseinband Fr.
Haltbarkeits-
Garantie
Wuppertal-E., Ausblick 93





كتاب

الحق الجليل

في

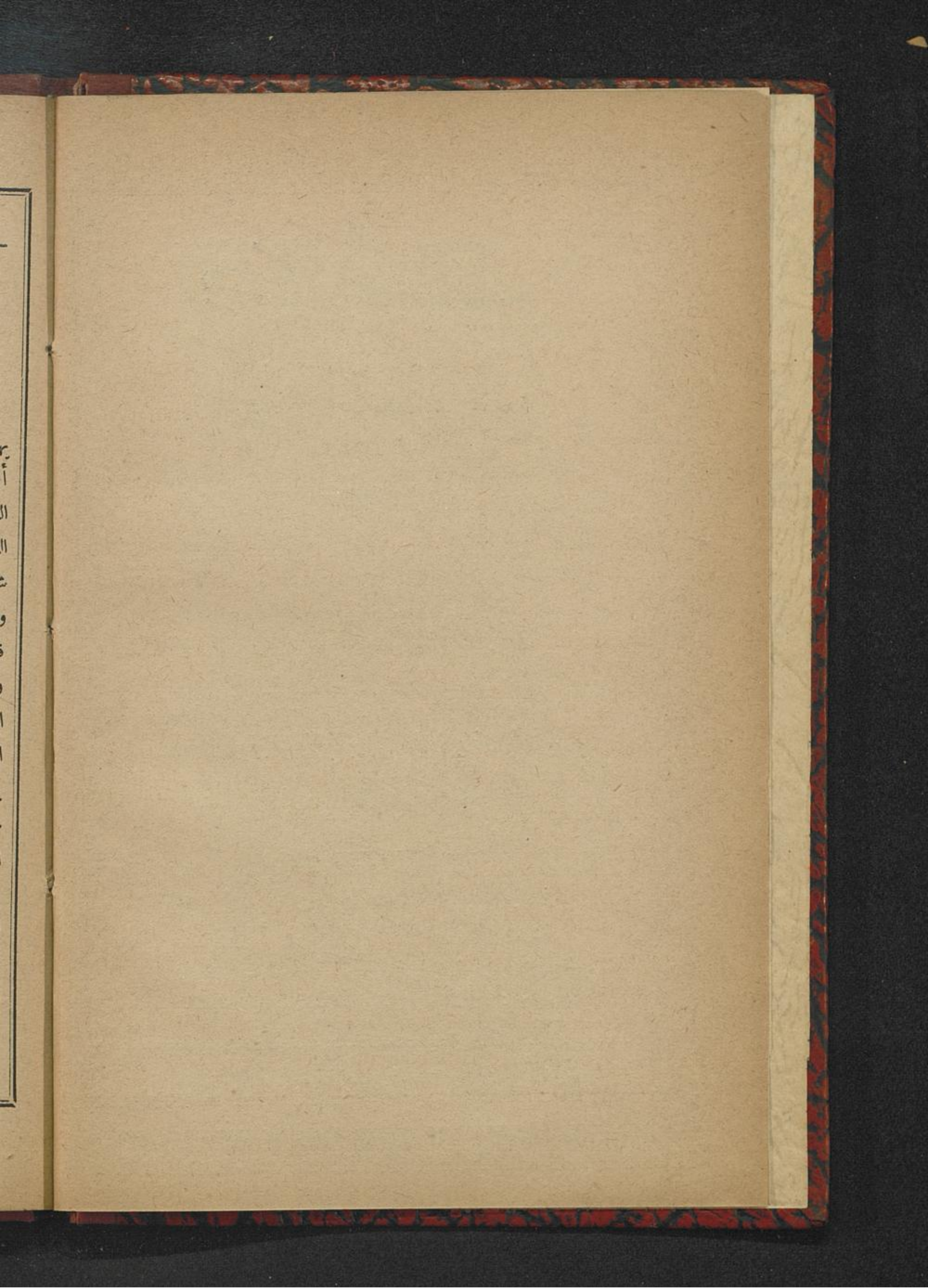
الرد على السرياني الدخيل

تأليف الاب بولس قلاده برزى

كاهن قبطى كاثوليكى

الغبي جاهل ويظن الجميع جاهلين ... مبدأ أقواله غباوة
ونهاية فمه خطا خبيث (الجامعه ١٠ : ٣ و ١٣)
لاتجاوبنه نظير حماقته لئلا تصير شبيهاً به بل جاوبه على حسب
حماقته لئلا يظهر عند نفسه حكيما (امثال ٢٦ : ٤ و ٥)

(طبع بالمطبعه العمومية بمصر ليوسف واسكندر آصاف)



﴿ الى غبطة بطريرك وسيادة اساقفة وحضرات اكليروس ومؤمنى الكنيسة القبطية ﴾

انه لما كان الاب الفاضل جرجس مقار من ابناء الطائفة القبطية الذين يهمهم أمر تقدمها بين الطوائف المتمدنة . وقد اولع الله قلبه بحب لها شديد . أخذ يبحث في كيف يسد عظيم ثلمها ويعالج شديد كلمها فانه لايخفى على ذوى النقد ما اصابها من الانحطاط والخمول ورسوم العلم بها قد عفت . واعلام الفضل قد طمست . فما وجد لذلك احسن طريقه الا النداء بالاتحاد وجمع شتات أولاد الطائفة الى الوحدة . عالماً انه مع الالفة القوة . ومع القوة الانتصار واتمام مساعى عقلا الامة الاصلاحية واخراجها من حيز الفكر الى حيز العمل . فألف كتاباً جليلا وسماه دليل المصريين وبعث به الى غبطة الاب البطريرك وسيادة الابا الاساقفة وجميع وجها الملة القبطية داعياً اياهم الى التمسك بعروة الاتحاد وثيقاً فيما بينهم أولا ثم مع العالم الكاثوليكي المتمدن كما كان سابقاً اباؤنا الابطال اكليمنضس وأوريجان وديوناسيوس واثناسيوس وكيرلس . فيمكنهم ان ينهضوا كرجل واحد مجدين في تحسين الطائفة التى طالما ذلت وساعين في ترقية شؤونها التى هبطت وانحطت . فجاء ولله الحمد تضيفاً رائقاً صادف عند كل محبى الاصلاح حسن القبول . ووقع فى قلوبهم الذ موقع .

فما مضى الا القليل مذ انتشار دليل المصريين الا وبلغنا الخبر بان الراهب السرياني قد صحت عزيمته على الرد عليه ودحض مافيه من البينات المقررة رياسة بطرس وخلفائه على كنيسة الله الجامعة فاستولى علينا الفرح علما منا انه عند قدح زناد الجدال ينفتح المغلق ويتيسر المستعسر وتتلألأ الحقائق ايضاحاً ويبدو الغث من السمين والفاسد من الصالح . ووثوقاً منا بان الحق لايخرج من غبار الحرب الا مظفراً منصوراً . ولا يكون الباطل الا منكسراً وزهوقاً

ويقال أن البراموسى قد رد من مدة ثلثة اشهر وما كان لنا علم بذلك ولا لاحد من ساكنى القاهرة . وهذا أمر من أعجب الامور واغربها . فان الحق من طبعه يحب النور فهو ذاته نور . وليس الا الباطل الذى يلتمس الخفية ويرتاح فى الظلام . ولقد كنا مكثنا مدة ليست بقليلة جاهلين أمر الرد لولا توجه أحد اخوتنا الى الوجه البحرى فى مأموريه ما وعلى سبيل الاتفاق قد رأى هذا الاخ الرد على دليل المصريين تتداوله أيدى الصبيان فاعلمنا به . فصرفنا العنايه للحصول عليه فنقتبس من فوائده . ونلتقط بعض فرائده . ولكن سدى لان تأليف البراموسى قيل انما قد خصص لاهل الارياف وسكان الاديرة أعنى بهم الانام البسطاء . واما فى القاهرة فقد منع نشره وحرمت قرائه . هل اتضاعاً من المؤلف أم فطنة أم خوفاً منه . لايعلم سرائر القلوب الا الله اما نحن فبعد المكاتبة الى بعض الاصحاب فى الارياف قد حصلنا على الرد المنتظر . وقد أخذنا الاندهاش من عنوانه اذ تفرسناه . الذى هو البرهان القاطع فى الرد على القبطى التابع . لقد احسن المؤلف اذ سمى كتابه بهذا الاسم الا انه أمر غريب كون السيف العضب يخشى لقا العدو ويولى هاربا قبل ان يراه . واما قوله القبطى التابع مشيراً بذلك الى الاب الفاضل جرجس مقار فلا نعلم أياً منهما التابع هل الاب المومى اليه أم علامة البراموس . فهذا اللقب طقساً ودينا لايعزى الا الى هذا الاخير ولا يطلق الا عليه . فكل يعرف انه سرياني الجنس وقد غير طقسه وانتمى الى الملة القبطية . وقد عيرته بذلك ذات الامة التى تمسك بطقسها . واليك ما قيل له في هذا الشأن : « لم يكن يجمل بمثل هذا السرياني الدخيل الغريب الجنس الذى تربي وترعرع في بحبوحة خير العائلات القبطية . وعاش الى الان نزيلا مكرماً بينهم ان ياتى بينهم عصا الشقاق ويزرع زوان الخلاف والخصام وهو علي ما يدّعى من العلم والتقوى فبئس هذا العلم وبئست هذه التقوى اذا كانت هذه عاقبتهما . بل أى نسبة بيننا وبينك حتى تتداخل فيما لايعنيك وتهرف بما لاتعرف . ومن اين لك الاتصال بالكنيسة

المرقسية وقد خالفت تعاليمها وزغت عن اعتقادها . وما شأنك والملة القبطية وقد اضررت بها ومسست جانبها بما لايغتفر لك اذ كتبت عنها ما يوهم ميلها الى الهرتقة الاوطاخية بجهلك وسوء دائك . » انظر كيف تكلمك ابناء طائفتك وتلومك بما لانود ان يكون فيك . انما هذا الكلام من شأنه ان ينبهك من غفلتك وينير بصيرتك لتفهم من هو التابع أأنت أم الاب الفاضل صاحب دليل المصريين . فان التابع هو الذى يهجر اصله على أى وجه كان . ولا يخفى على احد انك قد تركت طقس ابائك ولست اعلم لماذا . اما الاب الفاضل جرجس مقار فحباً لطقسه لم يزل محافظاً على تآليف اجداده الكرام ومدافعاً عنها اجل المدافعة . وقد تجاسرت ان تنسب لها الكذب والبهتان . وصدق من قال عنك انك اضررت بالطائفة القبطية كيف لا وقد عزوت لابائها الافاضل الجهل والغباوة . هذا ما يتعلق بالطقس وكل يحكم عليك انك فيه تابع .

وفي الدين لانرى تابعاً سواك ودليلنا في هذه المسألة اسمك الست تدعى يعقوبياً منتسباً الى يعقوب البرادعى كما يشهد بذلك كتابك الذى عنوانه البراهين الثاقبة فى اعتقاد اليعاقبة . وهذه هى اشارة التابعين ان يتخذوا اسم رئيس شيعتهم ولا تظن ان هذا التعليم مخترع لابل هو تعليم الاباالقديسين المعاصرى الرسل اسمع مثلا كلام القديس ايريناوس في هذا الصدد : ان الكنيسة الكاثوليكية التى وحدها تزينت بالحق كانت قبل ما تظهر الشيع فقبل فالنتين اين كان الفالنتينانيون . وقبل مارسيون اكانت توجد مارسيونيت « وقياساً على ذلك يمكننا نسأل اليعاقبة اين كانوا قبل يعقوب البرادعى » وكذا ليس هرطقه قبل مبتدعها . فكل هرطوقى يجعل مخترع شيعته الخصوصية اباً له ورئيساً متزيناً باسمه : » اسمعت ايها الدخيل صوت ايريناوس المخيف مظهراً لنا علامة التابعين . فعلى من تطلق هذه الاشارة واياً منكما توافق . اتصدق عليك ام على الاب جرجس الفاضل . فجنابك يعقوبي والاب كاثوليكي . والكنيسة الكاثوليكية وحدها حسب ايريناوس قد تزينت بالحق وكانت قبل الشيع اما اليعاقبه فلم تكن قبل يعقوب البرادعى فمنه

قد اتخذت اسمه ونعم الاسم كما انه لم تكن المارسيونيت قبل مارسيون ومن هنا تفهم من هو التابع ومن هو الدخيل . أى نعم ان هذا الاسم لايصدق على الاب جرجس لانه ابن الكنيسة الكاثوليكية التى تجملت بالحق وكانت قبل كل الارتقات . لانه ابن الكنيسة التى لابد من الاعتقاد بها كما حدد الرسل . نؤمن بكنيسة واحدة كاثوليكية . لانه ابن الكنيسة التى يقال عنها في القداس القبطى انها كنيسة الله الكاثوليكية الكائنة من اقصا المسكونه الى اقصائها . وكذا كانت تسمى قديماً كنيسة اثناسيوس وكيرلص اعنى بها كنيسة الاسكندريه كما اعترفت بذلك فى ردك على دليل المصريين « وجه ٣ »

وهذا الاسم كان وقتئذ فخرها وحليتها ولم تزل الى وقتنا هذا تذكره فى صلواتها وفى ترانيمها الكنائسية بلاشك هذا هو اسمك الحقيقى يا كنيسة ابائنا القبطية فمتى ترجعين اليه وتتردين به خالعة عنك الاسماء الغريبة منضمة الى أم الكنائس ومعلمتهن الكنيسة الكاثوليكية التى راسها فى رومة كما كتب عنها القديس اثناسيوس . متى يشرق علينا هذا اليوم السعيد . فلا تجري بيننا الا مناهل المصادقة ولا تنفتح امامنا الا أبواب المحبة . فلا ينفر أحد منا من صاحبه بل يراعى مودته ويبالغ فى حفظ جانبه . وقصارى الكلام متى نكون على ولاية واحدة فنجمع قوانا ونضم هممنا لنعيد الى مصرنا مجدها السالف وعزها الباذخ . راجين منه تعالى ان يبارك تأليفنا هذا ويمكن به خير الكنيسة القبطية الذى هو أجل رغائبنا وأعظم ما ترتاح اليه قلوبنا .



الباب الاول

في ان الكنيسة الحقيقية هي كاثوليكية أعني ممتدة في كل المسكونة وضامة كل الشعوب

ان السرياني الدخيل في رده على البشير كان قد فسر كلمة كاثوليكية على هذا النحو أي الجامعة في الوحدة فتقدم الاب جرجس الفاضل لدحض هذا التفسير وتزييفه في كتاب دليل المصريين مبرهناً له ان لفظة كاثوليكية هي عبارة عن امتداد الكنيسة الحقيقية في الارض كلها وذلك من قانون الايمان وكتاب القداس القبطي . فما اقتنع الدخيل وهاك رده قال { وجه ٣ } : قد دعيت الكنيسة كاثوليكية ووصفت بهذه الصفة منذ العهد الرسولي تقريباً وذلك حين كانت محصورة في زاويه وأماكن مخصوصة من الارض . وحين دخل هذا اللقب بطريقة شرعية ضمن دستور المجمع الاول والثاني المسكونيين كانت لم تزل جملة ممالك وأمصار غير عارفة بالدين المسيحي

فعن ذلك أجيب انه منذ العهد الرسولي قد بشر بالايمان في أغلب العالم المعروف . وقد سمع صوت الرسل في جميع المسكونه وكفانا شاهداً لذلك ما قاله القديس بولس لاهل رومة { ص ١ ع ٨ } : أولا أشكر الهي يسوع المسيح من أجلكم أجمعين على ان ايمانكم يبشر به في العالم كله . وان لم تغتن يا راهب البراموس بشهادة الرسول أوردنا لك شهادة الفيلسوف الوثني سينيكا المعاصر للرسل فانه يصرخ قائلا : ان الدين الجديد قد ملأ العالم باسره وفاق بامتداده مملكة الرومانيين . { ك مدينة الله }

وحين دخل هذا اللقب بطريقة شرعية ضمن دستور مجمع نيقيه والقسطنطنية { كانه لم يكن قبلا بطريقة شرعية في دستور الايمان الذي صنفه الرسل }

لاتظن ياعلامة البراموس ان الكنيسة كانت محصورة فى زاويه من الارض مثل كنيسة اليعاقبة في أيامنا هذه أعنى فى سنة ١٨٩٣ بعد ميلاد السيد المسيح . بل كانت منتشرة شرقاً وغرباً وأغاب أمصار أروبا وأقطار أفريقية وأقاليم اسيا كانت متمسكة بايمان واحد . أما يكفى ذلك لتسمى الكنيسة كاثوليكية اما تعلم ان كل اللغات تعبر عن الاغلبية بالجملة وان علم المنطق يشير عن ذلك جلياً ثم قلت ان العبارة التى استشهد بها صاحب دليل المصريين من صلاة السلامة للكنيسة القبطية التى هى : اذكر يارب واحدتك الوحيدة المقدسة الكاثوليكية هذه الكائنة من أقصا المسكونه الى أقصائها لاتفيده أدني فائدة . ـ لماذا يابراموسى ؟ فاجبت لان الكتاب المقدس مراراً كثيرة يذكر العمومى ويريدبه الخصوص وأتيتنا اثباتاً لكلامك هذابايات عديدة لم تفهمها . فكانى بك تقول بلفظ أوضح وأجلي : ان هذه الفقره من أقصا المسكونه الى اقصائها لاتدل الا على زاويه من الارض أو نقطة منها . فاى لغة تكون هذه اللغة التى الفاظها لاتدل علي معانيها بل تفهمنا خلاف ما تشير به . هذه العبارة من : أطراف المسكونه الى أطرافها لاتعنى الا نقطة واحدة من الارض ؟ ما هذا الانقلاب اتنسب لاباء الكنيسة القبطية القديسين مثل هذا الهذيان . وليس هذا فقط بل تريد اثباته من ذات آيات الكتاب الشريف . مفسراً عموم الممالك التى أراها ابليس للمسيح ﴿متى ٤ : ٨﴾ بمعنى مملكة خصوصية . فمن أى معلم أخذت هذا التأويل الغريب . فان كل مفسرى الكتاب قد أجمعوا على ان ابليس أري المسيح كل الممالك فى الحقيقة ونفس الامر . ولكن تباينت مذاهبهم واختلفت مشاربهم فى كيفية اظهارها له . فذهب كبريانوس الى ان هذه الرؤيه لم تحصل بنوع محسوس بل بنوع تصورى أى ان الشيطان صور ذلك تجاه مخيلة المسيح . وذهب مار اغوسطينوس واوتيموس وغيرهما ان الشيطان أشار امام المسيح الى ممالك العالم من بعد قائلا . هذه اسيا وهناك افريقيا وهناك أوربا الخ مشيراً علي أقسام

العالم الثالثة . أفهمت ان الكتاب يدل في هذه الاية على ممالك الارض كلها .
وهب الخلاف فمع ذلك لفظة من أقصا المسكونة الى اقصائها لايراد بها الا عموم
الارض وقد تحدد لنا طرفاها وتقررا. فكيف يكون الكلام هنا عن جزءٍ منها
لا سيما ازالة لكل ارتياب قدأعلن كتاب القداس صريحاً ان المراد هنا كل الشعوب
« اذكر كنيستك الكاثوليكية هذه الكائنة من اقصا المسكونة الى اقصائها جميع
الشعوب وكل القطعان باركهم { الخولاجي القطبي وجه ٥٩ طبعة الوطن }

أخيراً قال جناب الدخيل ان كل كنيسة تدعى كاثوليكيه سوى كانت اقليمية أو
مسكونية واستشهد بجملة أبا ومؤرخين يلقبون الكنائس الاقليمية بكاثوليكية .
ومنهم المورخ سقراط الذي دعا كنيسة الاسكندرية كاثوليكية . اننا لا ننكر ان
الكنائس الاقليمية كانت توصف بهذه الصفه وتدعى بهذا اللقب . ولكن أتدرى
لماذا ؟ ما ذلك الا لانها كانت عاقدة رباط الاتحاد مع جميع الامم في شركة
واحدة وايمان واحد . وكذا تدعى كنيستنا الى الان كاثوليكية . والمراد بذلك
انها في شركة جسد المسيح أى الكنيسه الممتده فى العالم باسره . وفي هذا المعنى
كل منا يسمى كاثوليكياً . اذ انه عضو لهذا الجسد الطاهر الذى انتشر شرقاً
وغرباً وملأ الارض كلها .وليس فى معنى اخر كانت تدعى كنيسة الاسكندرية
قديماً كاثوليكية . فانها كانت منضمة الى مملكة الرب التى لا تعرف حداً سوى
اطراف المسكونة . ولكنها قد أضاعت هذا الاسم الجميل منذ ما انفصلت مستقلة
بذاتها فلا يصدق عليها اليوم هذا اللقب

أسمعت يا دخيل وظهر لك فساد مذهبك . أفهمت انه فى كل عصر لفظة
كاثوليكية لا تطلق على الكنيسة الا لانها جمعت في حضنها كل الامم وكل الشعوب
ولازالة كل وهم فى هذه المسألة الخطيرة فلنسمع صوت القديس ابطاطوس
الافريقي المعاصر مار اغسطينوس . قد ظهر هذا العلامة فى الجيل الرابع والف
كتابين على الدوناتست المنشقين وأراد بهما اقناعهم بانهم ليسوا في كنيسة الله فقال
مخاطباً اياهم فى كتابه الثاني : حتى تكون كنيسة الله فيما بينكم وفي زاوية أفريقية التى

انتم ساكنوها ينبغي ان لا تكون في اسبانيا وغاليا وايطاليا والثلث بانونيات وداسيا . وماسيا وثراكى وأخيا وماكيدونيا والبنط وغلاطيا وكبادوكيا وبامفيلي وفريجيا وسلسيا وسوريه وأرمينية ومصر وبين النهرين وفى عدد لا يحصى من الاقاليم حيث لاتوجدون فاين اذاً مزيه لفظة كاثوليكية واشارتها التعريفية فانه قداعطى هذا الاسم لكنيسة الله لهذا السبب فقط وهو لانها ممتدة في كل مكان . » هاهى اذاً يادخيل خاصية الكنيسة ان لا تحصر فى مكان مخصوص بل تكون في العالم باجمعه . أبقى في قلبك شك بعد هذا الكلام الواضح أما انهزمت أوهامك امام سيف الحق القاطع

اسمع أيضاً محفل علماء الكنيسة ممجدين اسمها الكاثوليكي وفاصلينها من الشيع الارانيكية من حيث امتدادها في المسكونه لا غير

قال القديس ايريناوس الرسولى : ان كنيسة الله هى كاثوليكية اعنى منتشرة الى حدود الارض وممتدة في جرمانيا واسبانيا وغاليا وايطاليا والمشرق ومصر واليهوديه الخ . . . هى كرمة المسيح . ابعد من ان يحصرها مكان مخصوص . اجلّ من ان يحدها زمن واحد . فهذه صفة كنيسة اليهود وشيع الاراتقة . اما كنيسة الله فهى منتشره فى العالم باسره وتبقى الى اخر الزمان . تراها مرتفعة كانها برج عال تنير كل موضع وتنذر بالحق في كل مكان وتهدى الناس الى الرشاد (ضد الاراتقة ك ٤ صح ٣٦)

وقال الاب اكليمنضس رئيس مدرسة الاسكندريه وفخرها في كتابه السابع من السترومات . « ان كنيسة الله الحقيقية واحدة لا غير ممتدة في كل مكان وكانت قبل الارتقات . وليس يدعى رجل الله من يحيد عن تعليم الكنيسة الكاثوليكية التى اسسها الرب ليتبع اضاليل الارتقات التى ابتدعها الناس . »

وما احسن ما قاله القديس باسيانوس اسقف بارشلونا فى سنة ٣٦٠ وهو يخاطب الاراطقة : اسمى مسيحى . ولقبى كاثوليكى . ادعى باحدها واميز بالثانى ويفصل شعبنا بهذا اللقب الكريم من الاراتقة الذين عددهم قليل نظراً الى الكاثوليك الذين يملاون الارض ولذا سميت كنيستنا كاثوليكيه (فى كتابه الى أحد الاراتقه)

فمن هذه الشهادات وغيرها يظهر جليا كالشمس ما هى العلامة التى تميز كنيسة الله عمن سواها قد سمعتم الاباء ينادون على رووس الملا . ان هذه الاشارة التعريفية هى وجود الكنيسة منتشرة في المسكونة كلها . واين توجد هذه الصفة وعلى اى كنيسة تطابق . هل تنسب لكنيسة اليعاقبه التى حصرت فى زاويه من الارض ومن اجيال عديدة عزائمها قاعدة وهممها خامدة . هل تقدمت في عددها ونمت في علمها وفضلها . كلا بل لم تزل سائرة القهقرى . ولماذا لانها انفصلت من كرمة المسيح التى تستظل بظلها الوارف كل الامم . انفصلت فجفت رطوبتها وانمحت نضارتها . اما الكنيسة التى تدعى الى الان كاثوليكية لا تحصرها الا حدود الارض . في اوربا تراها زاهرة اذ هناك مركزها وفي المشرق تراها وفي الصين قد اسست بدم شهدائها . وفى اليابون تراها وفى اميركا العالم الجديد تراها وقصارى الكلام فى العالم كله تراها . فانها الحجر الذى انفصل من الجبل وصار هو بذاته جبلا عظيما وملأ الارض .

اسمعوا الان ايها الاخوة الاعزا صوت القديس اغوسطينوس في هذه المسالة فانه تكلم عنها بالتفصيل للدوناتست فى كتابه عن وحدة الكنيسة الكاثوليكية انهم قد خرجوا عن الايمان القويم لانهم ليسوا من الكنيسة الكاثوليكية المنتشرة في كل اقطار المسكونة واتى لاثبات ذلك بشهادات كثيرة مقتطفة من الكتاب المقدس اليكم بعضها ففى تفسيره وعد الرب لابراهيم واسحق كون كل الامم تتبارك فى ذريتهما . قال مخاطباً الدوناتست . اعطوني هذه الكنيسة اذا كانت توجد بينكم وأظهروا لنا انكم في شركة مع كل الامم التى نراها الان مباركة فى زرع ابراهيم (وحدة الكنيسة الكاثوليكية فصل ٤ : ١٤) أما يمكننا ان نقول هذا الكلام لكل الطوائف المنشقة من كنيسة رومة . ولكن من له اذنان سامعتان فليسمع

ثم قال القديس اغوسطينوس في تفسيره هذه الآية : اسالنى واعطيك كل الامم ميراثاً وحدود الارض ملكا (مزمور ٢) : من هو المسيحى الذى شك ابداً في تعلق هذه النبوة بالمسيح وما فهم ان هذا الميراث هو كنيسته (فصل ٤)

فان كان هــذا الميراث يراد به كنيسة الله وهو عبارة عن كل الامم اما ينتج ان كنيسة الله تحتوى على كل الشعوب . فليفهم الدخيل

أخيرا بعد ما بين علامة الكنيسة الحقيقية ووضع هذه العلامه في امتدادها شرقاً وغرباً واحتوائها على كل الامم رمى بالحرم كل من يخالف هــذا التعليم المستند على كلمة الله فقال : ان من الكتب المقدسة يبان جلياً انه صار الابتداء بالانذار فى اورشليم ومن هناك الى اليهودية والسامرة ثم فى الارض كلها . والكنيسة الى يومنا هذا لا تزال تنمو وتكثر حتى تجذب اليها كل الامم . ومن يضاد هذا التعليم فليكن محروماً . » { وحده الكنيسة الكاثوليكيه فصل ٤ }

فما النتيجة من كل هــذه الشهادات الساطعة والآيات القاطعة التى كلهـا تنطق بضرورة وجود الكنيســة الحقيقية منتشرة فى العالم باسره . وتعلن ان كل الكنائس المحصورة في بعض اماكن وأقاليم هى جمعيات اراتيكية مرذولة من الله وترشق بالحرم من لايقر بهذا التعليم مقاوماً اياه . ما النتيجــة وما القول الا ان نصرخ مع القديس اغـسطينوس هاتفين : « ماذا تجيب الاراتقة عن هذه البينات التى أوردناها من الناموس والانبيا والمزامير عمــا يخص كنيسة المسيح الممتدة في العالم باسره . فانه احب لهم ان يعصوها محاربين من ان ينضموا اليها تائبين . » (وحدة الكنيسة الكاثوليكية فصل ٤) لايمكنهم ان يجيبوا بشئ فالامر واضح بين . رغما عن ذلك اذا كان اعاق بقلوبهم ان يمكثوا في كنيستهم المنحصرة من ان يعـقدوا رباط الاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية . اذا كان أثر عندهــم ان يعيشوا منفردين من ان يكونوا فى شركة مع العالم الكاثوليكى . فنحن لسنا كذلك . فانه انس لنا ان نكون مع كل هذه الامم التى تباركت في زرع ابراهيم الذى هو المسيح واشهى لنا ان نكون بين الشعوب التى منحها الاب مـيراثاً لابنه الحبيب . وما بنا الان الا ان نختم قولنا هــذا مبينين مع القديس اغسطينوس الاسباب التى تقوى علائقنا بهذه الكنيسة المجيدة : « تربطنى في حضنها شركة كل الامم وكل الشعوب . يربطنى فى حضنها كرسى بطرس

الرسول . يرابطني في حضنها ذات اسم كاثوليكي الذى فازت به كنيسة الله وحدها بين الشيع الاراتيكية » (الكتاب المذكور)

الباب الثاني

فى ان بطرس الرسول هو اساس الكنيسة الجامعة ورأس التلاميذ كلهم

قال صاحب دليل المصريين : ان المسيح بقوله لبطرس انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابنى بيعتى جعله رئساً على الكنيسة . وهذا أمر لاريب فيه . فالمسيح شبه بهذا الكلام كنيسته بالبنا المادى وشبه بطرس بالاساس المشيد عليه البنا . وكل يعترف ان الاساس بالنسبة الى البيت كالرأس بالنسبة الى الهيئة الاجتماعية فاذاً من حيث ان المسيح جعل بطرس أساساً للكنيسة فبهذا نفسه ولاه على الجمهور المسيحى وجعله بمنزله رئيس له اذ من خواص الرئيس ان يتولى الجمهور ويدبره كما انه من خواص الاساس ان يوطد البيت .

ولكن الدخيل رفض هذا البرهان الساطع وقال أولا ان ترجمة الآية المثبتة الرئاسة محرفة . ثم ان الصخرة التى بنى عليها المسيح كنيسته ليست بطرس بل المسيح .

فنقول ان هذه الترجمة : أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابنى بيعتى هى ترجمة اخوتنا الاقباط وتجدها يا دخيل فى الانجيل الذى تقراه في البيعة على رأس الشعب القبطى (انظر قطمارس شهر توت المبارك بالمطبعة القبطية الاهلية طبعه سنة ١٥٨٨ للشهدا وجه ٤٩ و ٩١) ولكن فلندع عنا هذا الكلام فان علامة البراموس لايعتبر كتب الاقباط وقد اعلن لنا انها ملآنة اكاذيب وحكايات فارغة ولنسأله عن السبب الذى حمله على ان ينسب للاب جرجس الفاضل التحريف

فيجيب لان صاحب دليل المصريين عوض ان يقول انت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني بيعتي كما هي حقيقة النص قال انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ولا ريب انه يوجد فرق عظيم بين هذه الترجمة وأصلها والترجمة اليونانية لاتؤيد الا الاول فان المسيح لم يقل لبطرس : انت البيترا وعلى هذه البيترا بل قال انت بتروس الخ (وجه ٤)

فقبل الرد ليسمح لي علامة البراموس ان اهنيئه اذ عمل بوصية الاب الفاضل وتعلم في وقت وجيز اللغة اليونانية وعرف يميز بين بتروس وبترا واشيا كثيرة ضربت عنها صفحا مثل علامات التعريف والتنكير . ولكن كان حسبناه ان يعرف لغته السريانية فما كان قال ما قال ولا أظهر الجهل وأنسب التحريف للاب جرجس الفاضل . لان المسيح لم يكن يونانياً بل عبرانياً ولم يتكلم لغة اليونان مع بطرس بل لغة العبرانيين أهل زمانه وهي السيروكلدانية فقال لسيمون أنت كيفا (كما يشهد يوحنا ١ : ٤٢ فنظر اليه يسوع وقال أنت سيمون ابن يونا أنت تدعى كيفا الذي تفسيره الصفاة) وعلي هذا الكيفا ابني بيعتي . فكل يرى ان في لغة المسيح والرسل توجد لفظة واحدة كيفا بمعنى صخرة بخلاف اللغة اليونانية التي فيها توجد لفظان فترجم صاحب دليل المصريين مع الكنيسة القبطية بلفظة واحدة أيضاً في اللغة العربية قائلا . أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة . وما قال أنت بطرس وعلى هذه الصخرة تابعاً ومفضلا النص الاصلي . فمن أي جهة التحريف . أمن جهة الاب جرجس والكنيسة القبطية ام من جهة البراموسي والشيع البروتستانتية .

ولكني لست أفهم كيف الدخيل مع ذمته البراموسية قال ان الاب جرجس كان في نيته (بقوله أعطيك عوضاً عن ساعطيك) ان يجعل ان المسيح منح بطرس منذ هذا الخطاب مفاتيح الملكوت وجه ٤ مع ان المؤلف نبه بكلام صريح لايرتاب فيه بان المسيح طالما كان عائشاً على الارض كان هو وحده الملك المنظور كان وحده قابضاً مفاتيح الملكوت وما سلمها لبطرس الا حينما أعطاه الامر

السامي قائلا له : ارع خرافي ارع غنمي (دليل المصريين وجـه ٢٠) . أما قرأ البراموسي كل هذا فما باله اذا ينسب لنفسه مع الجهل والغباوة عدم الامانه".

فلنأتي الآن الى تفسير هذا النص : أنت الصخرة وعلى هـذه الصخرة ابني بيعتي . قال الدخيل ان الصخرة التي بنى عليها المسيح كنيسته ليست بطرس ولكن المراد بها اما شخص المسيـح واما اعتراف بطرس واما الرسـل أجمعون. وأتي اثباتاً لدعواه بشهادات بعض علماء الكنيسـة . فاقول أولا ان ايرونيموس واغسطينوس الذين استشهدهما لينسب الصخرة التي شيدت عليها الكنيسـة للمسيح لاينفيان عن بطرس هذه الصفة بل بالعكس يثبتانها فان هذين القديسين أرادا بكلامهما هذا ان المسيح هو صخرة الكنيسة من نفسه وذاته واما بطرس فبعد الرب يسوع وبهبة منه تعالى. ولست أخذ لكلامي دليلا الا ذات الشهادات التي أوردهاالدخيل فانها تسقط دعواه وتثبت قولنا .اليك نص القديس ايرونيموس (تفسير متى ١٦ : ١٨) .« كما ان المسيح النور اعطى نوراً للرسل حتى انهم يدعون نور العالم كذلك أيضاً صدرت أسماء من الرب غير هذه . فهكذا أعطى اسم بطرس لسيمون الذى امن بالبترا » . انه من هذا التشبيه كل منا يفهم انه كما ان المسيح الذى هو نور العالم من طبعه اعطى الرسل هذه الصفة ليكونوا هم أيضا نور العالم كذلك المسيح الصخرة صير بطرس في الحقيقة ونفس الامر صخرة الكنيسة لانه امن بالبترا وهذا ليس ينتج فقط من هذه المماثلة ولكن ايضاً من ذات نص ايرونيموس فان الدخيل قد اتى به ناقصا مجذوعا . لان ايرونيموس ما قال ان المسيح اعطى اسم بطرس لسيمون الذى امن بالبيترا ووقف كما فعل صاحبنا البراموسي بل قال ايضاً: « انه حسب هذه الاستعارة المتخذة من البترا صواباً قيل له (اى لبطرس) سابني عليك كنيستي » (١) افهمت ياعلامـة البراموس ان الصخرة التي بنى عليها المسيح كنيسته يراد بها بطرس من ذات الشهادة التي أتيتنا بها . وكيف استطعت ان تأتينا بها ناقصـة محرفة اما تعلم ان عـدم الامانه

(1) « Et secundum hanc metaphoram Petrae recte ei dicitur : super TE aedificabo Ecclesiam meam. »

فى النقل هو شر ما يعمل الانسان ولا يؤدى الى خير . بل عاقبته نزول العار والشنار على صاحبه. أو كان ظنك انه ليس فى يدنا النص الاصلى فتظهر مكرك وخديعتك . فان قسم المخادعة فيك أوفر من قسم العلم . وما جعلنى فى اندهاش لا يوصف هو كون هذا الرجل الذى صفته على مارأيتم ينسب للاب الفاضل التحريف والتهريف

وأما القديس أغسطينوس فبعدما أخبرنا فى النص الذى جاء به البراموسى انه قال في مكان ان بطرس هو الصخرة المبنية عليها الكنيسة ولكن مراراً قال أيضاً بان هذه الصخرة يراد بها المسيح أضاف هذه الكلمات التى اعتنى البراموسى بحذفها وهى : «بين هذين الرائين فليختر القارئ أيهما يبان له الاصوب . » « ١ » فان القديس اغسطينوس كان يعرف حق المعرفة مع الكنيسة الجامعة ان المسيح هو الصخرة من ذاته ونفسه وانه منح بطرس هذه الصفة . وعليه سوى أن تقول هذا أم ذاك ففى الحالين الحق تقول ولكنه لا يسمح للبراموسى أن ينكر على بطرس كونه صخرة الكنيسة وركنها ورأسها . وقد قال في كتابه الثانى عن المعمودية فصل ١ : « فى بطرس تلمع الرياسة على الرسل بنوع غريب . » ولكن البراموسى أعمى لا يبصر . لا يرى ماقاله القديس باسيلوس : « ان المسيح هو الصخرة الغير متزعزعة وذلك من ذاته . أما بطرس فبهبة له من المسيح الصخرة فان المسيح يمنح صفاته دون أن يتعرى منها ولكنه يشرك فيها مع حفظها له . » (فى مقالته عن التوبة)

أما الابا الذين علموا بان اعتراف بطرس هو الصخرة التى بنى عليها المسيح كنيسته مثل الذهبي الفم وكيراس . فقد أعلنوا صريحا قائلين ان ايمان بطرس ليس بمجرد عن شخصه هو الصخرة التى شيدت عليه البيعة ولكن بطرس حالة كونه متزينا بهذا الايمان القويم هو صخرة الكنيسة . فان المسيح الكلمة الازلية ما شيد مملكته الروحية على اساس سادج ولكن على ايمانه الراسخ الغير

(1) « Harum sententiarum quænam probabilior, eligat lector.»

متزعزع وهذا ليلقوا في ذهن الجميع تنزه رئيس البيعة من الضلال فى الدين .
قال القديس كيرلس : « ان المسيح قال لبطرس انت سيمون ابن يونا ستدعى كيفا الذي تأويله بطرس معلناً له ان اسمه لا يكون سيمون بل بطرس ودالا بذات الاسم انه عليه { بطرس } كعلى صخرة راسخة كان عتيداً أن يبنى ادارة كل المسيحين العامة { ١ } وسياسة الكنيسة { تفسير يوحنا ك ٢ فصل ١٢ } اسمعت أيها الدخيل الذي قلما طالع وفهم كتب اباء كنيستنا الاسكندريه . أسمعت القديس كيرلس يصرخ قائلا : ان المسيح بنى على بطرس مثل على صخرة راسخة بيعته . افهمت ان أمانه التلميذ الثابتة المؤسسة عليها الكنيسة وبطرس هما بمعنى واحد عند الآباء .

ثم أخذنا العجب مما جئت به من يوحنافم الذهب فانه فى هذا الموضع يعلن صريحاً ان أمانه بطرس ليست تدعى صخرة حالة كونها قائمة بذاتها ومجردة عن بطرس ولكن حالة كونها في بطرس بهبة من الاب . واليك نص القديس يوحنا بتمامه فانك قد جئتنا به مجذوعا كما هى عادتك : « انت الصفا وعلى هذه الصخرة ابنى بيعتى معناه على امانه الاعتراف ومن هنا أوضح أن كثيرين مزمعون على أن يؤمنو وانهض عزيمته وصيره راعيا ... ان الله وعد بطرس أن يعطيه الاشياء الخاصة بالله وحده وهو حل الخطايا وتصير الكنيسة بهذا المقدار من مصادمة الامواج وطيدة غير متقلبة وجعل انساناً صياداً أشد وأصاب من كل صفا على ان المسكونه كلها تحاربه وكما ان الاب لما ناجى ارميا قال له اني جعلتك مثل العمود النحاس والحديد والسور ولكن ذلك لامة واحدة وهذا { اعنى بطرس } في فى كل صقع من المسكونه ... وقلد انساناً مائتا بسلطان جميع ما في السماء لانه يقول ان السماء والارض يعبران وأما كلامى فلا يعبر . » { تفسير متى مقالة

{ ١ } ومن حيث ان علامة البراموس صار ماهراً في اليونانية نأتيه باصل هذه الكلمات يونانيا : { أولين أولون تون كريسيانون بوليتيان }

٥٤) فمن لا يري من هذه الشهادة ان بطرس هو صخرة الكنيسة وقد جعله المسيح يقول الذهبي الفم من حيث كان صياداً أشد وأصلب من كل صفا فيقوى على المسكونة باسرها ويظهر عليها . فكيف اذاً في المحل عينه قيل عن أمانة الاعتراف انها الصخرة ماذلك الا لنفهم ان الكنيسة ليست مبنية على انسان مائت كما قال فم الذهب ولكن على بطرس حالة كونه متدرعاً بايمان راسخ ثابت غير متزعزع حتى لو قامت أبواب الجحيم وثارت قوات المسكونة وهجمت عليه بكل عدتها لا يمكنها أن تنتصر عليه. فبطرس اذاً هو صخرة البيعة ولكن بأمانه الذي تنزه من أن يحله نقصان وجل ان يشوبه خلل . ان أرميا يقول فم الذهب قد صار سوراً لامة اسرائيل ورئيسها في الروحيات ولكن بطرس ما صار على أمة واحدة بل علي كل اصقاع المسكونة وهل يمكننا أن نرتاب في هذا الامر وقد يعلن لنا فم الذهب أن « المسيح قد قلد بطرس سلطان كل ما في السماء ويدعوه في ذات المقالة ٥٤ « فم الرسل الحار في كل مكان وزعيم زمرة الرسل كلهم » ويا للعجب ان الذين اتحفونا بهذا النص الثمين هم اخوتنا الاقباط الاحبا في كتابهم المطبوع في مطبعة الوطن سنة ١٦٠١ للشهدا الا وهو كتاب تفسير متى من قول فم الذهب جزء ٢ مقالة ٥٤ وجه ١٥٣ و ١٥٤) فماذا تجيب على كل هذا يا علامة البراموس .

علينا ان الآن ندحض التأويل الثالث وهو ان الصخرة التى بنى عليها المسيح كنيسته يراد بها شخص الرسل أجمعين فان الدخيل قد أتى بهذا التفسير لينفي عن بطرس الرياسة . والاباء الذين استشهد بهما امبروسيوس وأوريجان.

حقاً ان امبروسيوس نطق بهذه الكلمات : ان ما قيل لبطرس قيل للجميع ولكن لو قرأ البراموسى ما قاله هذا الاب الجليل لعلم انه يوجه خطابه للنوفسيانيين الذين كانوا ينكرون على الكهنة سلطان حل الخطايا فقال لهم امبروسيوس . ان ما قيل لبطرس في هذه المسألة أي حل الخطايا قيل للجميع اعنى لجميع كهنة الكنيسة . أما عن مسألة الرئاسة بعيداً من ان ينسبها للجميع فقد خصها ببطرس وأثره علي كل الرسل واليك كلامه : « بطرس وحده اعترف . بطرس

وحده قدمه الرب على الرسل . »{ تفسير لوقا كتاب ١٠ }

أما العلامة أوريجان أراد بلفظة صخرة في النص الذي جاءنا به البراموسى ليس نقط الرسل والكهنة بل كل مؤمن . ومن هنا يبان جلياً ان هذا التفسير ليس حرفياً بل أدبياً وروحياً . ولو افترضنا ان هذا المعنى هو الاصلي فالكل ساعتئذ يكونون أساساً . ومن يكون اذاً البيت فضلا عن ان البراموسى لو كان أمعن النظر قليلا في هذا الموضع لكان لحظ أن أوريجان اعطى تفسيرين كما هى عادته فانه دائما مع تأويل حرف الكتاب الذي هو المعنى الاصلى والاعتقادي يعطى تفسيراً ادبياً لمنفعة الشعب المسيحى الروحية . فبعد ما قال ان كل انسان يؤمن بالمسيح يصبح صخرة . واذا ثبت فى المسيح ابواب الجحيم لا تقوى عليه فسر مفاتيح ملكوت السموات عن الفضائل التى بها يمكن للمسيحى أن يفتح أبواب السماء ولكن من لا يرى ان هذا التأويل هو أدبي ولا يمكننا استعماله للمدافعة عن حقائق الدين كما عمل هنا فى جهله صاحبنا البراموسى . فليسمع اذاً ما قاله أوريجان مفسراً هذه الاية انت الصخرة الخ في معناها الاصلى وهذا في ذات المحل الذي استشهد به الدخيل وعليه اني في عجب منه كيف يقرأ أيات كتب علماء الكنيسة فاظن انه يتلوها بعقل ساه . اذ انه دائما يحرفها أو يأتينا بها ناقصة مجذوعة قال أوريجان : قد قيل لبطرس دون سواه هذا : انت الصخرة وساعطيك مفاتيح ملكوت السماوات قبل مايقال للرسل هذا : كلما ربطتموه على الارض يكون مربوطا في السماء الخ وفى الواقع اذا أمعنا النظر في أقوال الانجليين لرأينا فرقا عظيما وكرامة سامية بين الاشياء التى قيلت لبطرس وبين التى قيلت للرسل حتى في الاشياء التى في ظاهرها تم بطرس والرسل . »{ تفسير متى كتاب ١٣ } افهمت أيها الدخيل ان ما قيل لبطرس يتعلق به دوناً عن الرسل وانه يوجد فرق عظيم بين الكرامات التى أعطيت له وبين التى وهبت للرسل .

فقد تقرر اذاً ان المسيح وعد بطرس وحده دون سواه ان يصيره صخرة

الكنيسة ووعد الرب لابد ان يتم . فليصرخ البراموسى ويقول « ان المسيح قد قال لبطرس بعد قليل أن اذهب عنى ياشيطان متى ١٦ : ٢٣ ومن كانت هذه صفته لا يستحق أن يكون أساساً لبيعة الله . » فيجيبه يوحنا فم الذهب قائلا : « ان المسيح قلد انساناً مائتا { اعنى بطرس } سلطان كلما في السماء لان السما والارض يعبران واما كلامه فلا يعبر (تفسير متى مقالة ٥٤) وبين البراموسى والذهبي الفم فليختر القارى .

البرهان الانجيلى الثاني

قال جناب الدخيل : ان هذا النص سمعان سمعان قد سأل الشيطان ان يغربلكم مثل ما تغربل الحنطة ولكن صليت من أجلك لئلا ينقص ايمانك وأنت بعد رجوعك ثبت اخوتك » لايثبت رئاسة بطرس أولا لان المسيح لايخص بهذه الصلاة بطرس . ثانياً لان بطرس ما ثبت اخوته الا بدموعه وتوبته ورجوعه الى الايمان بعد انكاره المسيح (وجه ٧)

فنقول ان الامر بين ولا يحتاج الى برهان كون المسيح خص بصلاته بطرس دون سواه . فانه بعد قوله لسمعان ان الشيطان عتيدان يغربل كل الرسل ولذا وضع ضمير المخاطب الجمع (كم) لان الكلام هنا كان عن الكل . أخذ يعان له ما صنع لاجله على وجه خصوصى قائلا : قد صليت لاجلك لئلا ينقص ايمانك ولذا استعمل ضمير المخاطب المفرد (ك) مراراً . دليلا على ان الكلام هنا موجه الى واحد اعنى به بطرس وميز على هذا النحو بينه وبين اخوته .

فلنأتى الان الى تفسير النص . قال الدخيل ان بطرس برجوعه الى الايمان قد سكن قلوب اخوته المضطربة وها وجه الثبات الذى ناله منه الرسل . فنجيب ان هذا التأويل لايحفل به فانه يناقض تعليم علما الكنيسة على خط مستقيم . فهولاء يتخذون هذه الآية اثباتاً لتقدم بطرس على اخوته الرسل .

قال فم الذهب مقالة ٣ في اعمال الرسل : « ان بطرس الاول له ولاية الامر كله فان الجميع وضعوا تحت عنايته . كيف لا وقد قال له المسيح : وانت بعد رجوعك ثبت اخوتك . »

قال تاوفيلكت في تفسيره هذا النص : وأنت بعد رجوعك ثبت اخوتك : « معناه بعد سكب دموعك وتوبتك ثبت الاخر لاني اقمتك رئيساً على الرسل وهذا المنصب لحقيق أنت به فانك معي قوة وبيترا (صخرة) الكنائس . » (تفسير لوقا ص ٢٢ : ٣١) أتعرف ايها الدخيل ممن هذه الشهادة الجلية . من احد علماء الشرق الذى كان يوناني الجنس وعائشاً في عهد فوتيوس وبناء على ذلك ان شهادته لابد ان تكون منزهة عن الاغراض الشخصية وناطقة بالحق

اخيراً قال القديس امبروسيوس : « ان المسيح قال لبطرس صليت لاجلك لئلا ينقص ايمانك وقال أيضاً : أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي . فكيف يمكنك القول بان الذى كان سلم له المسيح مملكته ما كان يستطيع أيضاً ان يجعل ايمانه ثابتاً فبتسميته له بيترا (صخرة) قد أشار على عدم تزعزع الكنيسة (في الايمان ك ٤ فصل ٥)

قد سمعت أقوال الآباء فكلهم ينادون على رؤوسنا ان المسيح بقوله لبطرس ثبت اخوتك قد ولاه أمرهم وجعلهم تحت عنايته ورئاسته وهذا مايتضح من ذات النص . لقد رأينا في البرهان الانجيلي الاول ان المسيح الذى سواء عنده الحاضر والمستقبل كان عارفاً أن أبواب الجحيم ستجمع قواها لتمزق وحدة مملكته التى ستمتد في العالم باسره . وتلقى الشتات بين بنيها : ولذا أقامها على أساس وحيد وهو بطرس ليضم قواصيها ويدبر أمرها . ثم هنا نرى أيضاً ان الشيطان قد عزم أن يحارب الرعاه انفسهم ويزعزع ايمانهم ويفسد عقيدتهم فماذا عمل المسيح ليخرج تعليم مدبرى الكنيسة مصاناً من هذه الشدة . جعل ايمان راعيها العام منزهاً عن ان يقرب منه ضلال ومقدساً من ان يحله نقصان قائلا له : سمعان سمعان قد سأل الشيطان ان يغربلكم كما تغربل الحنطة ولكنى

صليت من أجلك لئلا ينقص ايمانك وأنت بعد رجوعك ثبت اخوتك

هاهي طرق الهنا العجيبة وتدابيره الازلية السريه ولكن لايفهمها الا من كان روح الله ساكناً فيه .

البرهان الانجيلى الثالث

قال الدخيل مفسراً خطاب المسيح لبطرس : ارع خرافي ارع غنمى : «ان هذا الكلام لايميز وظيفة بطرس من وظيفة غيره من الرسل أبداً بل يجعله مساوياً لهم لانه من المعلوم ان بطرس كان سقط من مجد الايمان المسيحى وعدم المقام الرسولى بثلاث شهادات وهى الانكار بالمسيح ثلث دفوع فاراد المسيح رحمة منه وتفضلا على بطرس ان يرده الى مقامه الرسولى بما يناقض ذلك الجحود المكرر ثلث مرات وهو الاقرار باسمه أو باقرب للفهم الاعتراف بمحبته الثلاثي (وجه ٧)

فنجيب ان المسيح في الحقيقة ونفس الامر أراد ان يعلن لبطرس ان خطيئته قد امحت ولكن ليس هذا فقط كما زعم البراموسى . بل مع هذا منحه أيضاً الرئاسه على اخوته الرسل وعلى العالم المسيحى باسره . كيف لا وذات النص يشهد بذلك فان المسيح قال له : ارع خرافي ارع غنمى أليس الرسل هم من خراف المسيح وغنمه فالرب اذاً جعل بطرس راعياً على الجميع حتى وعلى الرسل ولا يخفى على أحد ان الراعى بالنسبة للرعية كالملك بالنسبة للشعب . فضلا على ان لفظة راع في الكتاب المقدس تطلق على رؤسا الامم وقواد الشعوب . وان كان جناب الدخيل لايمكنه ان يفهم كلام الكتاب فليأخذ تأويله عن الآباء فانهم فسروا هذا النص طويلا .

قال أوريجان علامة مدرسة الاسكندريه : « ان المسيح لم يطلب من بطرس حينما سلم اليه السلطان السامى لرعاية غنمه وشيد عليه كما على البيترا (الصخرة)

بيعته لم يطلب منه فضيلة أخرى سوى المحبة . » أرأيت ان المسيح بهذا الكلام ارع خرافي ارع غنمي : قد سلم الى بطرس السلطان الاعظم وانه ساعتئذ قد جعله بيترا الكنيسة ورأسها . أفهمت ان هذه الآية ارع غنمي لايراد بها فقط ان المسيح تفضلا منه قد اعاده الى مقامه الرسولي بل أيضاً قلده تدبير مملكته الروحية باسرها .

اسمع امبروسيوس مفسراً هذه الآية : اتحبني اكثر من هؤلاء . ارع غنمي . قال . « ان المسيح سأل بطرس ليس ليتعلم منه بل ليظهر لنا انه قبل صعوده الى السما قد جعل لنا بطرس نائب حبه على الارض بطرس قدم على سائر الرسل . » (تفسير لوقا كتاب ١٠) ان المسيح طالما كان عائشاً على الارض كان هو الراعي السامي المنظور واحب رعيته حتى بذل نفسه فداء عنها . الا انه كان عتيداً ان يباين العالم ويذهب الى أبيه . أتظن انه يترك الكنيسة دون راع يدبرها على الارض . كلا يجيبك امبروسيوس قبل صعوده الى السما قد جعل لنا بطرس نائب حبه وقدمه على كل الرسل مسلما اليه زمام رعيته .

وما أحسن ما قاله فم الذهب في تأويله النص الذي نحن في صدده . ليس فقط يعلن هذا القديس العظيم ان المسيح قد محا انكار بطرس بل رفعه على اخوته الرسل وولاه تدبيرهم . اليك كلامه الذهبي . « يا سمعان ابن يونا اتحبني اكثر من هؤلاء . ارع خرافي ارع غنمي . لماذا ترك المسيح (الرسل) الباقين وخاطب بطرس دوناً عنهم . ما ذلك الا لانه راس الرسل وفم التلاميذ ورئيس الجمعية ولذا اتي بولس ليراه مفضلا اياه على غيره ... وبين له المسيح في الوقت ذاته انه يجب ان يثق بان انكاره قد محي وسلمت اليه الرئاسة على اخوته (ليسمع الدخيل وليفهم خاصة) فما عنفه على جحوده ونبه . اذا كنت تحبني فتقلد الرئاسة على اخوتك (انظر وتأمل يا براموسي) وهذا الحب الحار الذي اظهرته لي اظهره الان لخرافي وهذه الحبوة التي احببت ان تضحيها لاجلي ضحها حباً لغنمي (تفسير بشارة يوحنا مقاله ٨٨) ثم في ذات المقالة ٨٨ في تكلمه عن سؤال بطرس

ليسوع بخصوص يوحنا الحبيب وما سيبلغ به قال: « ان بطرس كان يخاطب يسوع بثقة لانه بعد انكاره تولى الرئاسة على الاخوة لان المسيح سلم اليه ادارة العالم باسره وتدبيره . »

هل يمكن الدخيل بعد سماعه هذه البينات القاطعة ان يخالج ذهنه ارتياب في تقدم بطرس على الرسل . ان الذهبي الفم أورد في مقالته ٨٨ كل الالقاب التى تدل على الرئاسة واسرد كل التعريفات والتحديدات المشيرة على السلطة التامة واخصها ببطرس فقد سمعتموه يقول اكثر من خمس دفوع ان بطرس هو رئيس الرسل وفم التلاميذ ورأس الجمعية وانه تولى أمر الاخوة وعنايتهم وتسلم ادارة العالم المسيحى باسره . أيستطيع البراموسى بعد سماعه ايات كذا ناطقة برئاسة بطرس علي الكنيسة كلها ان يكرر ما جاء به أعنى ان الرسل نالوا كلهم مع بطرس ومثله وظيفة الرعاية حتى لايكونوا تحت عنايته . أى نعم ان بولس كان راعيا ويوحنا كان راعيا كما قال اغسطينوس . نعم كانت الاساقفة رعاة مثل ما أعلن بولس (اع ٢٠ : ٢١) وشهد به بطرس قائلا لرؤساء الكنيسة : ارعوا رعية الله التى فيكم . ولكن ليفهم البراموسى ما معنى هذا الكلام . كل منا يعرف كنه المعرفة ان كنيسة الله جامعة كاثوليكية أى ممتدة من أقاصى الارض الى أقاصيها فاعطى المسيح لكل قسم منها رئيسا خاصاً يقوم بتدبيره وهذه وظيفة الاساقفة ان يرعوا شعباً مخصوصاً ويسوسوا بلاداً محددة ليسوا مهتمين الا فى الرعية التى فيهم » . ولكن ابتغاء وثاق الوحدة بين كل الرعايا الخصوصية وضم كل الرعاة فى جسم واحد أقام المسيح على كنيسته رئيساً أكبر وعاماً وجب على كل رئيس خاص ان يطيعه وينقاد لاوامره فى كل أمور الدين . وهذا الرئيس العام اس الوحدة ومبداها هو بطرس ابن يونا الذى تولى هذه السلطة السامية على كل الرعاة وكل الامم المسيحية بكلمة سيده : أتحبنى أكثر من هؤلاء (الرسل) ارع خرافي ارع غنمى . هذا كله شرحه طويلا صاحب دليل المصريين (وجه ١٠) ولكن من

يفهم فانه قد غلظ قلب هذا الشعب وثقلت اذناه عن السمع .

البرهان الانجيلى الرابع

بعد ما أثبت صاحب دليل المصريين امامة بطرس على كل الرسل وتسلمه ازمة كل الرعية وتفرس في هذه السلطة السامية التى تمتد على كل العالم الكاثوليكى تعجب من الذين يساوون بينه وبين الرسل فقال وجه ١٧ : لاريب ان بطرس يعلو مقاماً وشرفاً كل الرسل (١) وقد ورد ذكره أول الرسل (٢) وهو الذي ترأس عليهم في العلية الصهيونية حيث قام خطيباً مشيراً الى اختيار رسول بدلا من يهوذا . (٣) وهو أول من دعا الامم المجتمعة بتدبير الهى في بيت المقدس يوم العنصرة الى الايمان بالمسيح . (٤) وهو الذي تذكره اعمال الرسل في مقدمة التلاميذ كما كان الانجيل يذكر يسوع وتلاميذه . (٥) واليه كما الى المخلص كانت تحمل المرضى ليمر ظله عليهم فينالوا الشفاء (٦) واليه ارسل الله قائد المائة باكورة المؤمنين من الامم . (٧) وهو أخيراً الذي ترأس المجمع الاورشليمى وافتتحه بخاطبه .

فاجاب الدخيل قائلا انه من كل هذه الشهادات لم يشتم ادني رائحة للرئاسة . وقد كان اشتمها فم الذهب كما سنرى ولكن ربما شم البراموسى الطف من شم القديسين وعلما الكنيسة . فقال عن الاول ان ذكر بطرس أولا ومتقدماً لايجعل له امتيازاً . وسبب ذلك أى لماذا سمى أول جميعهم ما هذا الا لانه دعى أولا للبشارة . ولكن هذا الزعم مردود كما سبق وأشار بذلك صاحب دليل المصريين وجه ١٧ وأورد يوحنا الحبيب والسنكسار القبطى اللذان يشهدان بان اندراوس ليس بطرس دعى أولا وهذا أيضاً كان اشتمه القديس امبروسيوس الذي قال : « اندراوس دعى للبشارة قبل بطرس ومع ذلك لم تعط الرئاسة لاندراوس بل لبطرس (تفسير ٢ كور ص ١٢) ثم جناب الدخيل ما فسر لماذا

في الابركسيس يقال في تسمية الرسل «بطرس والاحد عشر» كما يقال في الانجيل المسيح والاثنى عشر اما يستدل من هـذا الوجه ان بطرس كان نائباً عن المسيح بالنسبة للرسـل . ثم نكر البراموسى كون بطرس كان مترأساً عـلى كل الاخوة في العلية الصهيونية حينما التئموا لاختيار متياس بدلا من يهوذا . ولكن لنا في ذلك شهادة فم الذهب التى لايمكنه رفضهـا . قال . « هل كان يسـتطيع بطرس ان يختار متياس من تلقاء ذاته (أى دوناً عن الرسل) . فاجيب انه كان يستطيع ذلك في الحقيقة ولكن لم يتخذ هـذه الطريقة لئلا يظن احد ان فيه محاباه . تأمل انه كان يوجد ١٢٠ أخاً وواحد فقط خاطب كل الجمهور . وكان هذا في عين الصواب . لانه الاول فله ولاية الامر كله . لانه قد تسلم عناية الجميع لان المسيح قد قال له . وأنت بعد رجوعك ثبت اخوتك (تفسير ١ ع مقالة ٣) قل لى يابراموسى ماذا تدعو الذي تسلم عناية الجميع اما تسميه كبير القوم ومتقدمهم . ثم ماذا تقول عن الذى فوضت اليه ولاية الامر كله . الست تقول عنه انه الرئيس في هذا الامر فمالك اذاً تشك في ترأس بطرس على الاخوة حين التأمهم في صهيون لاختيار متياس وكى لاتقول بجهل ان بطرس ليس له سلطان هذا الامر اذ تشاور فيـه جميعة الاخوة سبق فم الذهب ونبهك قائلا . ان بطرس كان يستطيع ان يختار متياس من تلقاء ذاته ودون الرسل ولكن لم يتخذ هذه الطريقة لئلا يظن احد انه فيـه محاباه .

ثم اجاب الدخيـل عن الثـالث ان بطرس ليس أول من تكلم بل جميع التلاميذ لان الكتاب يقول . امتلأ الجميع من الروح القدس وابتدوا يتكلمون بالسنة أخرى . فلما كان ذلك الصوت اجتمع الجمهور فتحيروا لان كل واحـد كان يسمعهم ينطقون بلغته . (اع ٢٠ . ٤ . ٦) هذا جواب البراموسى ولكن صاحب دليـل المصريين لم يقل ان بطرس تكلم الاول بل قال انه الاول دعا الامم المجتمعة في أورشليم الى الايمان . لان الرسل عندما استقر عليهـم الروح القدس بشكل السنة نار طفقوا جميعهم يتكلمون بعظائم الله ولكن بعضهم مع

بعض . فلما كان ذلك الصوت اجتمع الجمهور فتحيروا لان كل واحد كان يسمعهم ينطقون بلغته حينئذ قام بطرس وخاطب الاول الامم داعياً اياهم الى الايمان بالمسيح ها هو الحق وها ما نطق بهصاحب دليل المصريين وها ماقرره فم الذهب حين قال . « وفى يوم العنصرة قام بطرس منتصباً مع الاحد عشر ورفع صوته وقال أيها الرجال الاخوة . بطرس كان فم التلاميذ وحده يتكلم والاخر يستحسنون كلامه بالاشارة » (تفسير ا ع . مقالة ٤)

أخيراً أجاب عن الخامس والسادس والسابع قائلا ان الرسل صنعوا باسم معلمهم معجزات وبشروا بالانجيل كل الامم ... ولكن دليل المصريين ماأنكر ذلك بل قال ان بطرس له الباكورة في كل هذه الامور . وعن ذلك ما افادنا الدخيل بشئ . وماذا كان يمكنه ان يرد والذهبي الفم يصرخ فيه قائلا ان بطرس كان الاول في كل شئ فليسمع كلامه الذي من دابه ان يرميه بسكاته « بطرس كقائد يجول المعسكر . ناظراً فى صفوف جنوده ومتمعناً في المحصنة منهن والواهنة التى تحتاج الى حضوره . تأمله جائلا فى كل مكان وفى كل مكان تراه أول الجميع (برتووس باليونانية) وفى اختيار متياس كان الاول (بروتوس) ولما وجب القول لليهود بان الرسل ليسوا بسكارى كان الاول (بروتوس) وفي شفا المخلع كان الاول . وفي الانذار بالكلمة كان أول الجميع (برو تون الون) ولما لزم التداول مع الحكام كان الاول وفى شفا المرضى بمرور ظله عليهم كان الاول حيث المخاطر هو حاضر . وحيث وضع النظام والترتيب لايغيب (تفسير ا ع مقالة ٢١)

أرأيت ياابراموسى وفهمت ان بطرس في الابركسيس له الاولية والامامة فى كل شئ هذا ما اشتمه صاحب دليل المصريين مع الذهبي فمه وكل من ليس على قلبه غشاوة . ولكن جناب الدخيل ما اشتم من كل هذا أدني رائحة لرئاسة بطرس لانه قد تم فيه قول النبى . يسمعون سماعاً ولا يسمعون وينظرون نظراً ولا ينظرون لانه قد غلظ قلب هذا الشعب

في منطق الدخيل السامي

بعد ما أورد صاحب دليل المصريين البراهين الانجيلية الناطقة كلها برئاسة القديس بطرس كما رأيتم أضاف . « طالما كان المسيح عائشاً على الارض كان هو الملك والراعى المنظور . ولما آن وقته ان يصعد الى ابيه منح بطرس صفته الالهية أى اقامة رئيس الكنيسة المنظور ومع ذلك لم يزل هو كل هذا بنوع سرى وغير منظور . فعن هذا اجاب البراموسى أولا بان الاب جرجس الفاضل بقوله منح المسيح بطرس صفته الالهية قد نطق بالكفر ولم يعلم الدخيل ان هذا الكلام كان قد تلفظ به قبله القديسان باسيليوس الكبير والذهبى الفم . قائلين احدهما . « ان المسيح هو الصخرة الغير متزعزعة بذاته ونفسه . اما بطرس فهبة له من المسيح الصخرة . فان المسيح يمنح صفاته دون ان يتعرى منها . ولكنه يشرك فيها مع حفظها له . (باسيليوس المقالة عن التوبة) ثم قال الذهبى الفم . « ان المسيح وعد بطرس ان يعطيه الاشيا الخاصة بالله وحده » (تفسير متى مقالة ٥٤ لطبعة الاقباط) ولكن ربما كفر أيضاً هذان القديسان مع صاحب دليل المصريين فانهما قالا قوله بالحرف الواحد . ولماذا ياعلامة البراموس . ارنا فلسفتك فانك ما افدتنا بشئ ولا أوردت لنا سبباً هل ظننت ان قذف الشتائم يمكنه ان يحل محل البرهان . اهذا منطقك الغريب الذى به كشفت في كلام الاب الفاضل القياسات السفسطية . اما تعلم ان لسان الشتم ناطق بالعجز فضلا عن انك قد اقترنت في المسبة لصاحب دليل المصريين الابا القديسين الذين لهم في العلم القدم المعلى وفي الفضيلة المورد العذب المحلى فكن اذاً على حذر . عليك ان تتأمل عقبى كلامك قبل ان تنطق به وتتدبر منتهى أواخره في مباديه لئلا يجرى لك ما جرى .

ثم قلت ان المسيح اذ كان على الارض كان له سلطان في السما وعلى الارض ولما حاول ان يصعد الى السما عدم جزءاً من هذا السلطان وانتزع منه بطرس

والبابا مملكة الارض «وجه ١٠» فمن أي القضايا استخرجت هذه النتيجة فان صاحب دليل المصرين قال لك صريحاً . «ان المسيح ولو منح بطرس ان يكون صخرة الكنيسة ورأسها فمع ذلك لم يزل هو كل هذا بنوع سري وغير منظور » وهذا كلام القديس باسيليوس القائل . ان المسيح يمنح صفته دون ان يتعرى منها » فاين اذاً السلطان الذي عدمه . ولكن اذا نقلنا الكلام الى تدبير الكنيسة الظاهري وادارتها البارزة مثل الانذار بالكلمة وتحديد الحقائق المرتاب فيها حينئذ يلزمنا القول بان هذا الامر قد تسلمته الكنيسة أما هذا مذهبك فما بالك اذاً تخلط بين تدبير الكنيسة السري الباطني الذي يختص بالمسيح دون سواه وبين تدبير المسيحيين الظاهري الذي يتعلق ببطرس وخلفائه احبار رومة وهذا لتكون المؤمنون في وحدة الايمان . أرأيت الان من أي جهة السفسطة وعدم التمييز بين الامور المختلفة .

ثم اضفت . ان الكنيسة اشتركت في هذه الخسارة العظيمة لانه بعد ان كان لها الراس العظيم الحي المحيي القادر على كل شئ حكم عليها الزمان الخؤون بان تعدم ذلك الحبر العظيم وتستعيض برأس مائت . » (وجه ١٠) لا ندري في أي صفحة من كتاب دليل المصريين صادفت هذه الاقوال فانه يعلن لك واضحاً ان المسيح « من اعلى سماه لا يزال راس الكنيسة الحي المحيي مانحاً النعمة لكنيسته التي هي جسده السري وباعثاً سحائب بركاته على الرعاة وشعبه المؤمن به . هو حجر الزاوية والعثرة عليه تتأسس اعضاء الكنيسة المتواضعة وتنصدم فيه الرؤوس الشامخة فتتهشم وتتحطم . هو الملك والراعي اليقظان فيدبر قطيعه ومملكته بروحه القدوس . هو معلم الايمان يصون كنيسته من الضلال وهذا باعطائه لوكيله على الارض نعمة العصمة من الضلال . » (وجه ٢٢) اين كنت حينما قرأت هذا الكلام أكنت في اليقظة ام في المنام . فان صاحب دليل المصريين قد نطق بكلام لا يرتاب فيه قائلا . ان الكنيسة لم تزل الى الان ولن تزل ابداً تحت عناية المسيح وتدبيره ثم أوضح لك بان الكنيسة هي هيئة اجتماعية مؤلفة من اعضا منظورة فلزم الحال ان يكون لها رئيس من جنسها أي منظور يضم قواصيها

ويدبر امرها وهذا مطلوب من ذات الهيئة الاجتماعية وهذا ما نراه في الكنيسة الكاثوليكية فقط . فالزمن الحوؤن لم يتلاعب الا بشيع الاراتقه التى تركت رأس الكنيسة راكنة على نفسها ومدعية ان المسيح رأسها الوحيد . فنراها كل يوم تغير تعاليم ابائها ليس عارفة ما لها وما عليها .

اخيراً اردفت . اذا كان البابا رأس الكنيسة فعند موته تصبح جيفة لاحراك لها . ولا يمكن لاحد ان يحل محل ذلك الرأس المقطوع لا لبطريرك ولا لجمع الاساقفة لانهم اعضا ولا للكرادلة لانهم غير معصومين » وجه ١٠ ــ اتسمح لى ان اسألك لماذا عند موت البابا تصبح الكنيسة جيفة لاحراك لها تقول ربما لان الكنيسة هى جسد البابا الذى هو رأسها فاذا قطع الرأس ماذا يحل بالجسد الا انه يصير جيفة منتنة لاحراك لها . وهذا هو ضلالك وفساد ظنك كونك تزعم بان الكنيسة هى جسد البابا فان هذا الامر منكور عندنا ولا نقول به . وربما يبان لك هذا الكلام غريباً كون البابا يدعى رأساً والكنيسة لا تدعى له جسداً ولكن يا علامة البراموس الامر سادج لان الجسد لا يسمى جسداً بالنسبة للرئيس الا اذا قبل منه الحركة والحياة الباطنة وعليه لا تسمى مصر مثلا جسد الخديوي مع كونه رأسها ولا يخفى على جناب الدخيل ان الكنيسة لم تقبل من بطرس رئيسها حياة النعمة والحركة الباطنة الى الامور السماوية . فهذه لا تأتينا الامن المسيح رأسنا الذى انتقل من العالم وجلس عن يمين الاب فى السما ومع ذلك أراد ان يمكث في الكنيسة بنوع سرى الى انقضاء الدهر . واما التعليم الشفاهى والحقائق الدينية فتقبلها من رئيسها المنظور الذى يجمع كل المؤمنين في الوحدة الجمهورية فليفهم اذاً البراموسى ان الكنيسة هى هيئة اجتماعية روحية ومنظورة معاً فمن حيث انها روحية عائشة بحياة النعمة تقبل حياتها هذه من السيد المسيح الذى بالنسبة اليه البابا ذاته عضو كباقى الكنيسة ولكن من حيث انها منظورة لا بد لها من رئيس منظور يدبرها ويجعل كل الافراد في الوحدة متمسكين بشركة واحدة وايمان واحد .

وهذا الرئيس المنظور الذى تقرر لزومه (وانظر دليل المصريين وجه ١٠ و ١٥ و ٢٦٩٤٥) هو الحبر الرومانى . افهمت يابراموسى تعليم الكنيسة المملو حكمة افهمت ان الكنيسة عند موت رئيسها لا تصبح جيفة لا حراك لها لان المرسل عليها سحائب النعم ومصدر حيوتها الروحية الباطنة هو المسيح الذى لا يموت .

ولكن اسمعك تقول على افتراض ان الكنيسة لا تصبح جيفة بموت رأسها المنظور (اي رئيسها فلا تنغش من لفظة رأس فهي لفظة مجازيه) اذ هي تقبل حيوة النعمة من السيد المسيح ولكن كيف تبقى الوحدة الجمهورية عند موت البابا اذ هو منبعها ومبداها .

ـ فالجواب عن ذلك جلي والكل يفهمه ونعجب كيف غاب عن ذهن البراموسى الوقاد . فاننا نسأله كيف يبقى النظام فى الممالك الارضيه عند موت رؤوسها . وكيف لا ينحل عقد وحدتها ولا يتبدد شعبها . فيجيب بلا شك لان بعد موت الملك تبقى الوزراء الذين يدبرون المملكة الى حين اختيار ملك آخر . انما هولاء لا يمكنهم ان يسنوا شرائع جديدة ويلزمهم ان يؤدوا حساباً عن اجرآتهم للملك الجديد . وعلى هذا النحو لا يصير شتات بين الشعب ولا يتبلبل النظام وحسناً أجاب . فليقس على ذلك ما يحصل فى الكنيسة فانها مثل الهيئات الاجتماعية عند موت البابا يقوم الكرادلة بتدبير الكنيسة ولكن لا يمكنهم ان يضعوا سنناً تلزم كل الكنيسة وينبغى لهم ان يقدموا حساباً عن كل تصرفاتهم للبابا الجديد وعلى هذا النحو تبقى كل أعضاء الكنيسة مرتبطة في الوحدة ولا ينفك عقد نظامها ولا ينخسف بدر جمالها . أفهمت يابراموسى وبان لك فساد رأيك الذى ثلثه بروتستانتى وثلثاه سفسطائي .

صوت الكنيسة الجامعة

لقد تقرر وثبت مما سبق ان البراهين الجلية المتخذة من الكتاب الشريف هى في محلها وقد أخذنا العجب من تعامى البراموسى الذى أحب ان يأتينا بها محرفة مجذوعة من أن يرتدع عن غيه ويتبع الحق . سبيلنا الآن ان نمتحن الشهادات المبنية على المجامع المسكونية ورد الدخيل عليها

قال صاحب دليل المصريين : ان الكنيسة القبطية تقسم قوانين نيقية الى قسمين أحدهما يحتوى على ٢٠ قانونا والثاني على ٨٤ واستشهد بالقانون ٤٤ لاثبات رياسة بطرس على كل الكنيسة . ثم أسمعنا صوت المجمع الافسسى الذى يعلن صريحاً « بانه مقرر ومعترف به فى كل الاجيال كون الطوباوي بطرس هو زعيم الرسل وهامتهم وعامود الدين وأساس البيعة الكاثوليكية الخ »

فاجاب الدخيل عن شهادة المجمع الافسسى : « ان ما أورده صاحب دليل المصريين كذب واختراع اختلقته مخيلته ويظهر ذلك من أعمال المجمع فى آخر هذا المؤلف وجه ١٦ . ثم لما وصل الى آخر مؤلفه أتظن أيها القارى اللبيب انه نكر هذه الشهادة . كلاّ بل صادق عليها وقال ان القس فيلبس أحد نواب البابا نطق بها فى الحقيقه فى بهرة المجمع الافسسى وأخذ على نفسة ان يفسرها . فما باله اذاً يدعو كذباً ما يعرفه حقا اما يعلم ان لكل شئ حلية وحلية المنطق الصدق . والامر الغريب فى هذه المسألة كونه ينسب البهتان لغيره . فليحكم القاري من أى جهة الكذب والبهتان .

أما عن المجمع النيقاوى فانكر أولا وجود ال ٨٤ قانوناً وأتى اثباتاً لدعواه بحكاية طويلة ليس نسبة بينها وبين رئاسة بطرس التى نحن فى صددها . ثم شرع يفسر كيف توجد هذه القوانين فى مجموع ابن العسال وكيف استطاع غبطة البطريرك ان يستشهد بها فى منشوره ضد أسقف صنبو .

أما الحادثة فهي . ان البابا زوزيموس كان قد أرسل لمجمع قرطاجنة لائحة تشتمل على أربعة قوانين أعظمها وجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا كما هو مقرر في مجمع نيقية المسكوني (كلام البابا زوزيموس) فأمر مجمع قرطاجنة بتلاوة هذه اللائحة فتليت . فلما سمع الاساقفة تلك الدعوى قالوا ان نسخ أعمال نيقية ليس فيها شئ من ذلك وأتوا بالنسخ الموجودة في الاسكندرية والقسطنطنية فما وجدوا القانون الذي ذكره البابا أعني قانوناً يأمر بوجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا . فمن هذه الحادثة التي يشك فيها ويرتاب أعظم المؤرخين المدققين (انظر المؤرخ الشهير رورباكر تاريخ الكنيسة مجلد ٧ من طبعة باريس سنة ١٨٥٧) استنتج الدخيل ان النصين المنسوبين الى مجمع نيقية وهما قانون ٣٧ و ٤٤ ليسا من هذا المجمع

فنقول بلا ريب ان هذا القانون المتكلم عن حق الاستئناف لايوجد في مجمع نيقية ولكننا نراه في مجمع سرديقي الذي كانت تعتبره بعض كنائس واحداً مع النيقاوي وذلك لان فيه صار البحث عن أمانة نيقيه وابائها . ولكن من لا يتعجب من منطق الدخيل الذي اباح له ان يستنتج من هذا الامر ان قانون ٣٧ المتكلم عن كراسي البطاركة وال ٤٤ المقرر رياسة البابا على كل رؤسا النصرانية ليسا من مجمع نيقية . فكأني به يقول . من حيث ان الاباء لم يجدوا قانوناً في مجمع نيقية يأمر بوجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا فاذاً من المحقق ان القوانين المحددة سلطان البابا على كل المسيحيين لاتوجد في المجمع المذكور . ومن لايرى فساد هذه النتيجة فضلاً عن ان هذه الحادثة التي استند عليها الدخيل مخترعة مصنعة .

قال الدخيل عنها انها حادثة ذاعت وشاعت في الكنيسة شرقاً وغرباً ونسى ان يقول لنا أي تاريخ داله على ذلك لانه لم يذكرها المؤرخون في الاعصار القديمة وما جرى عليها الكلام الا بعد فوثيوس بسنين . ولكن ليعلم الدخيل ان أعمال هذه الحادثة الملفقة من الاراتقة تشهد على نفسها انها مزورة ومخترعة . لانه يقرأ

فى هذه الاعمال ان أبا المجمع عند تلاوتهم اللائحة المبعوثة اليهم من البابا زوزيموس والمشتملة على ثلاثة قوانين أعظمها متكلمة عن وجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا صرخوا قائلين . انهم ما صادفوا ولا فى مجمع قوانين كهذه . والحال ان الثلاثة قوانين توجد بالحرف الواحد فى مجمع سرديقى الذى حضره أكثر من ثلاثين أسقفاً افريقياً كما هو مدون في المجمع السرديقى . وهذا يكشف لنا قلة دربة المخترع وعدم حذاقته فانه أراد ان ينسب لهؤلاء الاباء عدم معرفة قوانين سرديقية فاظهر انه هو الجاهل بها وبتاريخها .

ثم الاغرب من ذلك كون المخترع تجاسر وجعل اغسطينوس بين أهل هذا المجمع والحال انه لايخفى على أحد ان مبادي هذا العلامة الفاضل تناقض على خط مستقيم كل أقوال هذا المجمع كيف لا وقد ذكر مراراً فى تأليفه وجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا ويكفينا هنا سرد البعض منها . قال فى رسالته ١٦٢ . « ان الاساقفة يمكنهم ان يستأنفوا الى البابا . وأما القسوس والشمامسة واصحاب الدرجة الواطئة . فمسائلهم يجب ان تنهى في محلاتها . » وهذا القانون مدون في سرديقى . ثم قال عن سيسليانس اسقف قرطاجنة الذى حكم عليه مجمعان انعقدا فى افريقيا وانزلاه من منصبه . فاستأنف الى البابا الذى برأه ورده الى كرسيه . « ان سيسليانس المحكوم عليه من مجمعين كان يستطيع ان يذدرى باعدائه الكثيرين لانه كان فى شركة مع رومة التى تتلألأ فيها رئاسة الكرسى الرسولى (رسالة ٤٣) . فكيف يمكن لعلامة هذه مباديه ان يجالس بين هؤلاء المتعصبين وينطق خاصة بما نطقوه .

أخيراً يظهر من هذه الحادثة ان الذي اختلقها هو أحد الاراتقة الشرقيين فانه أراد أن يرفع كنيسته ويحط بكنيسة رومه كما هو داب كل أراتيكى حذف من شركتها ولذا وضع في فم أبا مجمع قرطاجنه الذين ليس لهم اختلاط ولا علائق بكنائس الشرق أقوالا ترفعها الى ذروة سامية من المجد والجلال فضلا عن ان هذا المخترع قد عماه الله وأفسد رأيه حتى انه نقل حرفياً جزءاً من الرسالة التى

بعثها مجمع انطاكية الاريوسى الى البابا يوليوس واليك بعض فقرات منها : « فاذاً بعد تأدية الاكرام المتوجب نسأل انلاتقبلوا فيما بعد بسهولة الذين يرحلون من هنا الى مسامعكم ولا ترضوا أن تقبلوا في شركتكم الممنوعين منا عن الشركة ». فهذه وغيرها توجد بالحرف الواحد في رسالة المجمع الاريوسى الانطاكى . والفرق الوحيد ان هذه الكلمات هى خاتمة رسالة الانطاكيين أمافي رسالة المخترع فحشيت في وسطها ليستر عيبه ولكن سدى فقد انكشف الغطا وبان الغش وحصحص الحق . فما بال الدخيل اذاً يصرخ كانه أتي ببراهين قاطعة قائلا : ان سحابة الغرب الافريقية تقصف رعوداً وتقض صواعق باصواتها قائلة انه لا حق لصاحب دليل المصريين ان يتمسك بهذه الاحلام فان مجمع نقية لم يسن الا عشرين قانوناً فعجبنا من صياحه وضجيجه فما مثله فى هذا الا مثل الجبل الذي هاج وماج وما أتى في آخر أمره الا بفار .

وبعد ما جاء الدخيل بهذه الحادثة المخترعة قال ان المجمع النيقاوي لم يسن الا ٢٠ قانوناً وهاك حجته لان تاودريتوس وجيلاسيوس لا يذكران الاالعشرين وموسهيم يابى الاقرار بغيرها . ثم يقول لو كانت من نفس مجمع واحد لماذا ينفى أحدها أحكام الآخر فان قانون ٤ و ٥ و ٦ ينفى سلطة البابا المؤيدة في قانون ٤٤ . ــ فعن هذا نجيب ان شهادة موسهيم لا يحفل بها فانه رجل بروتستاني خصم رئاسة بطرس وشهادة الخصم لا تعتبر الا بقدر البراهين المثبتة دعواه فليورد أدلته وبعد امتحانها كل منا يستطيع ان يحكم فيها اذا كان يعول عليها أم لا. أما عدم ذكر هذه القوانين من بعض مؤرخين مثل تاودريتوس وجيلاسيوس ليس بدليل على عدم وجودها وهذا أمر بين فكم من الامور التى لم يذكرها المؤرخون أتعتبرها لهذا السبب فريه لا أصل لها . فضلا عن ان أشهر الكتاب وأقدم المؤرخين قد عزوا لمجمع نيقية أحكاماً عديدة غير العشرين . مثلا أو سابيوس في كتابه الثالث فى حياة قسطنطين الملك والقديس ايفانيوس فى بحثه عن الارتقة ال ٦٩ والقديس اثناسيوس في كتابه على مجمعى ازيمينى

وسالوسى ينسبون الى مجمع نيقية قانوناً بخصوص احتفال عيد الفصح يوم الاحد لا نراه بين العشرين . والقديس امبروسيوس في رسالته ٨٢ يقول انه يوجد قانون نيقاوي يحكم بعدم قبول من تزوج مرتين بين الاكليروس وهذا القانون ليس له أثر بين العشرين . ثم يقول القديس ايرنموس في مقدمته على يهوديت ان مجمع نيقية وضع كتاب يهوديت بين الكتب القانونيه وما عثرنا بقانون كهذا بين العشرين . ثم اغسطينوس يقول من قوانين نيقية ان الاسقف لا يمكنه ان يعين خليفته وانه لا يجوز لكنيسة واحدة أن يكون عليها اسقفان وهذا القانون لا لايوجد بين العشرين أخيراً مجمع أفريقية فى قانونه ١٤ يقول من قوانين أبا نيقية انه لا تجوز للكهنة مباشرة خدمة القداس الا صائمين . وهذا القانون لا يوجد بين العشرين . — اسمعت يا براموسى ان القديس اثناسيوس وأوسابيوس المؤرخ اللذان حضرا مجمع نيقية والقديس ايرونيموس واغسطينوس وامبروسيوس وأبيفانيوس ومجمع افريقية يشهدون كلهم بوجود أحكام وقوانين منسوبة لنيقية بخلاف العشرين وليس هذا فقط بل يقرون بوجود ال ٨٤ قانوناً التى رفضتها كيف لا والقانون الذي ذكره اغسطينوس ونسبه لنيقية هو ال ٥٤ من هذه القوانين . زد على ذلك ان محفل كل كنائس الشرق المنشقة عن كرسى رومة يقر بها وينسبها للمجمع النيقاوي كما سبق وقال لك صاحب دليل المصريين وما أجبته عن ذلك بشئ . نعم ان كل هذه الشيع التى تباينت عقائدها واختلفت مذاهبها اجمعت على هذا الامر . وهم النساطرة واليعاقبة السريان والارمن والروم الذين زادوا على ذلك بان جعلوه فى ناموسهم الكنائسى كما هو معلوم عند الجميع ويشهد به العلامة الفاضل القبطى الصفا ابن العسال . فبعد عدد شهود كذا وافر من يمكنه ان يشك فى حقيقة هذا الامر . لا سيما اذا امعن النظر في صفة الشهود فانهم كلهم منفصلون عن شركة الكنيسة الرومانية . وبناء على ذلك شهادتهم فى هذه المسألة لا بد أن تكون خالية من الاغراض ومنزهة عن المطامع الشخصية .

أما قول الدخيل : لو كانت الـ ٨٤ قانوناً من نفس مجمع نيقيـة لماذا ينفي أحدها أحكام الآخر فان قانون ٤ و ٥ و ٦ من العشرين قانوناً ينفي سلطة البابا المؤيدة في قانون ٣٧ و ٤٤ . فمردود من أوجه كثيرة وان هذه القوانين نفسها تثبت سلطة البابا كما سيرى القاري في بحثنا عن رئاسة الحبر الروماني .

ثم أضاف ان ابن العسال (الذي استشهد به صاحب دليل المصريين) قد أورد النصوص التي تناسب كل موضوع كرياسة البطريرك وخلافها بغير أن يعتبرها مقدسة وجه ١٥

فنقول أولا ان ابن العسال لا ينكر مثل البراموسي وجود قوانين غير العشرين كيف لا ويقول في مقدمته ان «أبا نيقية كتبوا كتابا في الامانة المقدسة ووضعوا في الاحكام قوانين كثيرة جداً » اسمعت ايها الدخيل ان الشيخ الفاضل ابن العسال القبطي يقرّ بان أبا نيقية وضعوا قوانين كثيرة جداً هل كان يمكنه أن ينطق بمثل هذا الكلام صواباً لو كان الابا ماسنوا الا عشرين قانوناً ثم يردف هذا العلامة القبطي : « ان في هذا الكتاب جزءين أحدها عدته عشرون قانوناً والآخر كثير الفوائد وهو ثابت عند اليعاقبه السريان » ياله من أمر غريب ان الجزء الثاني الذي جناب الدخيل يتقلقل فيه ويرتاب قد قيل عنه على وجه خصوصي انه ثابت عند اليعاقبة السريان اي عند اهل كنيسته . فما بالك اذا يابراموسي تترك اعتقاد ابائك وتمسك بتعليم موسهيم البروتستاني .

ثم اردف الدخيل . ان ابن العسال لا يعتبر النصوص التي اوردها مقدسة . ولماذا هل لانه قال في مقدمته عن كتابه المشتمل هذه القوانين انه « مجموع من الكتب الالهية والاحكام البيعية » او لانه اعلن « اننا لا بد ان نتمسك بالقوانين التي وضعها الاباء والمجامع اذ انها ليست الا كلام الكتب الالهية والقوانين الرسولية ولكن مفصلا كما هو حال هذا الكتاب (مجموع القوانين . مقدمة) مشيراً بذلك عن كتابه . فكأني به يقول : ان كل ما حواه مجموعه من الاحكام والقوانين سبيلنا ان نتشبث به مثل كلمة الله المنزلة « ومن تجاسر وخالفه فقد عصى الرب وقاومه » .

والحال ان القانون ا ا ٣٧ و ٤٤ اللذين اتى بهما صاحب دليل المصريين هما ضمن هذا المجموع وقبل ان يذكرهما الشيخ القبطى الفاضل اشار بانهما من المجمع النيقاوي قائلا في باب البطاركة " . « ان مجمع نيقيه المقدس امر » ثم اوردهما اما زعم الدخيل بان ابن العسال قد اشار في مقدمته انه يوجد فى قوانين الملكية ما يوافق مذهبهم فلا يفيده ادني فائدة لانه قد اعلن في النص ما هى هذه القوانين من حيث انه بعدما اتي فى باب البطاركة" بهذين القانونين اعنى ٣٧ و ٤٤ قال منهاً « ثم يوجد فى قوانين الروم : وبعد هذا المجلس صيرت بطريركية افسس لصاحب القسطنطينية وصيروه ثانياً فى الرتبة وصيروا صاحب الاسكندريه" ثالثاً » وهذا فى الحقيقة ونفس الامر مما يطابق اغراضهم . ارأيت أيها الدخيل ان علماء الكنيسة القبطية لايأتون باحكام المجامع دون فهم غير مميزين مالهم وما عليهم . بلا شك اخوتنا الاقباط الاحبا يعتبرون هذه القوانين مقدسة الهية وان كنت ايضاً في ريب من ذلك اسمع الشيخ الفاضل الذى تلقبه الكنيسة القبطية « بالرئيس البار والقديس العالم المؤتمن الدين المسيحى المعروف باسحق بن العسال » هكذا يسمى فى عنوان كتابه

قال هذا العلامة القبطى « فى كتابه مجموع أصول الدين » . « ان التلاميذ أمروا ان تكون خلفاؤهم على المؤمنين أربعة . أولهم على كرسى بطرس وهى رومية . وثانيهم كرسى اسكندرية وهو كرسى مرقص الرسول وثالثهم كرسى أفسس المنقول بعد الرسل الى القسطنطنية وهو كرسى يوحنا . والرابع كرسى انطاكية وهو أيضاً كرسى بطرس . » وهاهو ياداخيل القانون ا ا ٣٧ الذى اتى به صاحب دليل المصريين نقلا عن ابن العسال نراه باللعجب مسطراً فى كتاب « اصول الدين ومسموع محصول اليقين » ويقربه مع الصفا بن العسال اسحق بن العسال « الرئيس البار المؤتمن الدين المسيحى » معلناً ان الرسل هم الذين امروا به ثم تسلمته الكنيسة بالتقليد الى ان جعلته ابانيقية بين القوانين المكتوبه" . فقد ثبت اذاً ولا ريب فى ذلك كون ا ا ٨٤ قانوناً وعلى وجه خصوصى القانون ٣٧

و ٤٤ تعتبر عند الكنيسة القبطية قوانين مقدسة امرت بها الرسل ثم وضعها احكاماً مكتوبة" ابا المجمع النيقاوى . فاين المفر يابراموسى والي اين المهرب . أخيراً اردف الدخيل . ان البطريرك أورد بعض بنود من القوانين المومى اليها لانه راها مطابقة لجميع القوانين الرسولية ومفسرة لمجمع نيقية — . بلا ريب ان علامة البراموس لما نطق بكلامه هذا ما تمعن في عواقبه فانه أنسب لنفسه الكذب والبهتان ولغبطة البطريرك المكر والخداع . لنفسه الكذب حيث قال ان هذه القوانين التى اتى بها غبطة البطريرك مفسرة لمجمع نيقية مع انها لم تفسره أبداً كيف لا وموضوعها غريب عن موضوع العشرين قانوناً ويبعد منه بعد الارض من السماء فانها تمنع انتقال الاساقفة من كراسيهم وقبول التشكيه على البطاركة" . وغيرها من الاحكام ليس لها عين ولا اثر بين العشرين . ثم لغبطة البطريرك المكر والخداع لانه على حسب راى الدخيل قد استعمل هذا الشيخ الجليل في مسائل خطيرة وامور مهمة اعنى بها حرم اسقف صنبو وحذفه من البيعه قوانين يرتاب فيها وجعلها في فم ابانيقيـة قائلا . ان المجمع النيقاوي المقدس قرر فى قانون ١٣ و ٣٠ و ٤٩ و ٥٠ و ٧٦ مع علمه اليقين (الذى اخذه عن الدخيل) بان هذا المجمع لم يسن سوى عشرين قانوناً وانه ليس اثر في المجمع المذكور لقانون ١٣ و ٣٠ و ٤٩ و ٥٠ و ٧٦ . وبما ان هذا المسلك فعل منكر لا نظن ان غبطة البطريرك سلكه اذ في امور كذا جسيمه يعلن صريحا انه يبنى حرم اسقف صنبو على القوانين التى استشهد بها . نعم لا نظن هذا الامر الفظيع لاننا نعلم ان استعمال المكر وادخال التمويه على البسطاء ليس من اخلاق ابنا الطائفة القبطية ولا سيما كبير الملة ورئيسها وانما انفرد به بذهم السرياني الدخيل .

صوت الكنيسة القبطية

ان صاحب دليل المصريين قد أورد شهادتين احداهما من السنكسار

والاخرى من كتاب الاسرار فالاولى تدعو بطرس صخرة الكنيسة ورأس الرسل كلهم وان المسيح ذاته هو الذى أعطاه هذه الرئاسة السامية بقوله له انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتى . والثانية تدعو بطرس خليفة المسيح على الرسل وشرح ذلك طويلا (وجه ٢٦ و ٢٨)

فاجاب الدخيل : ان سنكسار الاقباط فضلا عن ما هو مملو من الاقاويل الكاذبة والحكايات الفارغة عادته ان يبالغ في تقريظ أي قديس ويطنب في مديحه وقاعدة مرعية عند العموم ان المديح والتبجلة والتعظيم لا يبنى عليها حقائق ولاينتج منها قضايا صادقة (وجه ١٦)

اننا نعجب كون الكنيسة القبطية منذ أجيال عديدة لا تورد على أذان بنيها الا اكاذيب واحاديث خرافة وهذا في كل اجتماعاتها المقدسة ويزيد عجبنا لا سيما اذا تفرسنا ان المسيح هو على رأي الدخيل رأسها الوحيد .وانه يدبرها من أعلا سماه ويرشدها لئلا تسقط فى الضلال وتصبح جيفة منتنة باعثة روائح الباطل فما شأنها اذاً عوض أن تقدم لاولادها لبن التعليم الصافي الذي لا غش فيه تعرض لديهم الحكايات الفارغة والاقاويل الكاذبة وهذا في كتبها الطقسية التى تعتبر عندها مقدسة وجزءاً من الدين وتتلى على مسامع الشعب حين تقدمة الذبيحة المرعبة ولكننا لا نذهل من قول صاحب البرهان القاطع فان الذي اذدرى بالكنيسة القبطية واستهجن بكتب أبائها داعياً اياها بصوت الاحتقار « سنكسار الاقباط » ليس من الملة المرقسية ولا يهمه ان علت أو سفلت ارتفعت أو انحطت ولكن نعجب وأي عجب كون ابنا الطائفة القبطية الذين يهمهم هذا يسمحون لهذا الدخيل الغريب ان يتكلم بهذه الصفة عن تآليف أجدادهم التى تقرأ فى الكنيسة مع كتاب الله ولها عندهم المنزلة العظيمة . وخاصة غبطة البطريرك الذى من شأنه ان يحامى عنها ويحافظ عليها اذ تسلمها من سلفائه .

فبعد ما اذدرى الدخيل بكتب الكنيسة القبطية قال مجيباً عن الشهادات التى اوردها صاحب دليل المصريين من السنكسار اثباتاً لرئاسة بطرس « انها لاتخرج

من كونها تقريظ وتبجيل . » فكلامه هـذا مردود من وجهـين أولا لان السنكسار لم يكتف بان يلقب بطرس رئيس الكنيسة وأساسها ورأس الرسل كلهم ولكن أخذ أيضاً على نفسه (كما أشار بذلك صاحب دليل المصريين) ان يفسر شرعياً ما قال المسـيح لبطرس : أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابنى بيعتى وعلى حسـب تأويله بطرس هو أساس الكنيسـة والصخرة التى كان المسيح مزمعاً ان يقيم عليها أركان بيعته . لا كما زعم الدخيل قائلا مع تلاميذ لوتير : ان الصخرة في هذا النص تدل على المسيح أو على الاعتراف بلاهوته ليس على بطرس . فقد رفض السنكسار هذا الشرح الفاسد وأظهر بطلانه وأعان ان بطرس هو الصخرة . ثانياً لانه اتخذ من هذا اللقب دليلا على ان بطرس اقيم رئيس كل الكنيسـة وهامة الرسل . وهـاك قول السنكسار حرفياً : ان بطرس حيث كان شديد الايمان والحدة استحق ان يصير رأس الرسل كلهم . لانه لما قال للرب : أنت المسـيح ابن الله فالمعلم الالهى بجوابه هذا : انت الصخرة اعطاه الطوبى واقامـه رئيساً علي الكنيسة وسلمه مفاتيح ملكوت السموات . { انظر دليل المصريين وجه ٢٦ — ٢٨ }

فمن هنا ينتج ان الرئاسة التى قرّ بها السنكسار ونسبها لبطرس ليست تبجيلا فقط . بل انها مستندة على آيات الكتاب الشريف ولا نظن ان السنكسار أخذ يتلاعب فى النصوص الالهية ويفسرها كيف يشاء اكراماً واجلالا لبطرس بل فسر تفسيراً حسناً وأصاب فى تأويله اسم الصخرة الذى لقب به . وهو ان المسيح بجوابه لبطرس انت الصخرة جعله رأس كل الكنيسة والرسل . فانه كان في يقين من هذا الامر كما كان قبله القديس كيرلس الذى قال : ان المسيح باعطائه بطرس اسم صخرة قد بنى عليه ادارة كل المسيحين العامة . وفهم هذه الحقيقة كما كان سبق وفهمها القديس يوحنا فم الذهب الذى نادى على رؤوسنا « بان بطرس تقلد الرئاسة على اخوته الرسل . وتسلم تدبير العالم باسره . اما الدخيل فما فهم بل دحضاً لهذا البرهان الدامغ قد اتانا بالقاب وعبارات كقولك

خليفة المسيح وعامود الكنيسة متخذة من الكتب الطقسية القبطية ومنسوبة الى بعض بطاركة . وظن برده هذا انه فند براهين دليل المصريين . وهذا دليل جلي على انه ما فهمها ولا دخل باطنها وكشف معانيها . فان الاب جرجس الفاضل ما استند على هذه الالقاب فقط علماً منه بان البطريرك كما وكل كاهن بسيط يمكنه ان يدعى خليفة المسيح ولذا بحث اولا عن فحواها واظهر لنا من قرائن الكلام انها تدل هنا على الرئاسة التامة والسلطة الساميه كما رايتم . لعمرى ان هذه الالقاب تشتمل على معان كثيرة . فكل من له وظيفة كهنوتية يمكنه ان يدعى مثلا خليفة المسيح . فالاغومانس خليفة المسيح ولكن نظراً الى من تحت ادارته والاسقف خليفة المسيح ولكن انظر الى اتساع الدائرة التى عليها تمتد سلطته . ومن هنا يبان ان لفظة خليفة المسيح واحدة ولكن معناها يختلف بالنسبه الى عدد الاقاليم ومقام الاشخاص الذين تمتد عليهم الخلافة . فالبطاركة الذين لقبهم الدفنار بخلفاء المسيح ما كانت خلافتهم ممتدة على العالم المسيحى باسره ولا على باقى البطاركة اما بطرس فيدعى فى اللقان خليفة على كل الرسل والتالى على الكنيسة باجمعها . وهاك كلام اللقان : « ان المسيح قبل الامه تنازل هو المعلم وغسل ارجل التلاميذ وبعد العنصرة باشر بطرس هذا العمل لانه خليفة المسيح » اعنى كما ان المسيح غسل ارجل التلاميذ قبل الامه لانه كان رئيسهم كذلك بعد العنصرة غسل بطرس ارجل الرسل لانه كان خليفة المسيح عليهم وهامتهم افهمت يا براموسى ان الالفاظ تختلف معانيها باختلاف القرائن : أما قولك ان بولس دعى مع بطرس رئيس التلاميذ فما عثرنا عليه لا في السنكسار ولا فى ابصاليتهما . بل هاك ما صادفناه في السنكسار : « في هذا اليوم استشهاد الرسولين الكوكبين المنيرين العظيمين التلميذين بطرس رأس البيعة وهو الصخرة والصفا وبولس الغيور المنتخب المصطفى . »

وفي الابصالية ما وجدنا مكررة في كل ربع الا هذه العبارة : « ابونا بطرس ومعلمنا بولس » وعلى افتراض صدق كلامك فهو مع ذلك لا يجديك نفعاً ولا

يثبت دعواك فان كتاب الطروحات يسبح امجاد بطرس وبولس ويرفع منصبهما علي كل الرسل . ولكن يقول لنـا في أي معنى فاق كل منهما التـلاميذ شرفاً واخذ يفسر لنا طويلا الفرق الموجود بين تقدمهما علي الرسل خاصاً الرئاسة ببطرس وحده ولم ينسب لبولس سوى التعليم والانذار . واليك كلام الطرح الذى يقرأ يوم عيد الرسولين بطرس وبولس : « ان المسيح جعل انسـاناً وثيقاً ثابتاً على رأس الصخرة وبولس مادحاً ومعلماً للكنيسة . بطرس قال له المخلص انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتى وأبواب الجحيم لا تقوى عليها اعطى لبولس لسان العطر ليكون معلم المسكونه واعطى بطرس مفاتيح ملكوت السموات حلاوة الكلام اعطاها لبولس وكان كل واحد يتعجب من كلامه . والتعاليم الصالحة هى أقوال بطرس فى الحل والربط . وكلام بولس مملو من الحكمة ينمي للجالسين فى الظلمة . بطرس صار رأساً للبيعة ومعلماً لسائر الجماعة . وبولس صـار مدبراً ومقلداً بالثالوث الاقدس . السلام لابوينا السـيدين اعنى ابينا بطرس ومعلمنا بولس . السلام لابينا بطرس رئيس الرسل وخليفة المسـيح (انظر في اى معنى يدعى بطرس خليفة المسيح) السلام للحكيم معلمنا بولس لسان العطر معلم الامم ومبشرهم . السلام لرومة موضع اجسادهما المقدسة . »

ها هو التعليم القويم . بطرس هو الصخرة التى بنى عليها المسيح كنيسـته . بطرس هو المقلد مفاتيح ملكوت السـموات . بطرس هو الذى له كلمة الحل والربط بطرس هو رأس البيعة ومعلم لسائر الجمـاعة . بطرس هو رئيس الرسل وخليفة المسيح وها ما يجعله هامة الرسل ومتقدمهم . أما بولس فهو فم العطر ومبشر الامم ومعلمهم وله كلام الحكمة : وها ما يجعله ان يعلو شرفاً على التلاميذ . أفهمت ياعلامة البراموس فى اي معنى يقال ان بطرس وبولس هما رؤساء التلاميذ اهل بعد سماعك مثل هذه التفاسير الواضحة ترجع وتتمسك بالالفاظ وتعتصم بالحرف ساهياً عن المعاني وفحوى الكلام . اعلم ان حرف الكتاب الظاهر يقتل اما روحه أى معناه الباطنى فيحيي .

ثم اخذنا الاندهاش اذ سمعناك تقول ان صاحب دليـل المصريين بعد العناء الشديد والفحص الكثير في كتب الطائفة القبطية ما صادف الا عبارتين بخصوص رئاسة بطرس . أتريد بكلامك هذا ان كتب الطائفة القبطية قلما تتكلم عن بطرس وتذيع برئاسته . ولكن هذا دليل جلي على انك قلما طالعت تآليف اباء الكنيسة القبطية فانها مشحونة من الاقرار برئاسة بطرس . ولولا خشية الاب جرجس الفاضل ملل القارئ لاطال في ايراد الشواهد التى اتينا بها وغيرها مثلا ما يقال فى الطرح الذى يقرأ عيد القديس مرقص : « ان مرقص قد اصطاد انيـانيوس وثبته على اسـاس البيعة البطرسية . على الصخره الغير متزعزعة ... قد اكملت يا مرقص وصايا معلمك الذى تبعته الذى هو القديس بطرس العظيم رأس الرسل الذى اعطى له السيد المسيح مفاتيح الملكوت . هو ارسلك من قبل المسيح الى مصر لكى تبشر وتنور هناك الجالسين في الظلمة والضلال . » ولكن ما لنا نسرد عليك شواهد الكنيسة القبطية فانك تحلها محل الاكاذيب والحكايات الفارغة فسبيلنا اذاً ان نورد لك بعض شهادات من علما كنيستك السريانيه التى يهمك ربما مجدها وفخرها . قال يعقوب السروجي فى ميمره على قيامة المسيح : بلغ يوحنـا الحبيب باب القبر الذى للعريس الملك ولم يدخل حتى اتى سمعان الكامل انتظر لحامل مفاتيح الخزانة حتى يأتي لانه أولا يفتح ويدخل كالوكيل قام يوحنا كالحكيم ولم يدخل لئلا يتبلبـل ترتيب صفوف الكرازة . ثبت ليأتى رئيس التلاميذ لان هذا قد ابطأ فى مجيئه وينبغى ان ينظر هو أولا ويشهد على القيامة . سمعان بطرس رئيس صفوف التلاميـذ اتى ودخل قدامه لانه الاساس ينبغى ان يكون أولا للكرازة . » اسمعت من فم علماء كنيستك ان بطرس هو الاساس بالنسبة للرسل نفسهم وانه رئيس صفوفهم ولذا ما تجاسر يوحنا الرسول الذى اتكأ على صـدر المسيح ان يدخل القبر بل انتظر قدوم بطرس الذى له الحق ان يدخل أولا . وذلك لئلا يتبلبل نظام صفوف الكرازة . ثم اعلم ان هذه الحقيقة ينبغى ان تكون راسخة وأى رسـوخ فى ذهن السروجي حتى ان رئيس

التلاميذ وبطرس هما عنده معنى واحـد . وعوض ان يقول سمعان بطرس تراه أغلب الاوقات يقول رئيس التلاميذ . وليس هذا على وجه التعظيم والتفخيم كما هي عادتك ان تجيب . لان كلام السروجي هنا عن الام المسيح وقيامته فلماذا يبجل في بطرس ويترك الباقين ويرفعه على يوحنا الحبيب فضلا عن ان سيمون بطرس قد استحق الملامة بجحوده المسيح مع كل هذا لا يدعو اساس الكنيسة ورأس التلاميذ الاسمعان بطرس . اسمع يا أخي ولا تثقل اذنيك افهم فان هذا تعليم ابائك .

في القديس بطرس وراهب البراموس

بعد ما أورد صاحب دليل المصريين البينات القاطعة المتخذة من ذات كتب الكنيسة القبطية اثباتاً لتقدم بطرس علي الرسل قضى العجب من راهب البراموس الذى قال بعدم الرئاسة وشرع يبحث عن الاسباب التى حملته ان يجحد تعليم كنيسته هذا الصريح فرأها عللا واهية الا وهى . لان الكتاب يدعو بطرس أخا الرسل ويعلم ان جميع المؤمنين هم جسد واحد ورأسهم المسيح الذى هو اساس الكنيسة الوحيد . فاجابه عنها بكلام شاف وتقرير واف واتاه بتفاسير جاية رائقة مزق بها عن وجه الحقيقة برقع اعتراضاته . واليك خلاصة كلامه . انه لا مناقضة أولا بين ان يكون بطرس أخا ورئيساً للرسل لان بولس دعا المؤمنين اخوته حالة كونه رسولهم وزعيمهم والمسيح دعا الرسل اخوته حالة كونه رأسهم والههم . ثانياً لا مناقضة بين ان يكون المسيح صخره ورئيس الكنيسة وبطرس صخرة ورئيس الكنيسة أيضاً لان المسيح رئيس غير منظور وبطرس رئيس منظور . اتظن ان البراموسى رأى فساد حججه الضعيفة كلا بل أخذ يحامى عنها واحـدة واحدة قائلا : ان الرسل هم متساوون فى المنصب والرتبة . ثانياً ان المسيح ولودعا بطرس بتروس لكنه لم يبن كنيسته على بتروس بل على البترا التى هى ذاته .

أخيراً انه بانكاره سلطان بطرس على الكنيسة واقراره بان المسيح هو رأس الكنيسة الوحيد ما اضحى بروتستانياً .

فأخذ يثبت دعواه الاولى أى ان الرسل هم متساوون في المنصب والرتبة من خطاب المسيح للرسل : من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادماً والاول فليكن الاخر والمتقدم فليكن كالعبد . اننا نعجب كيف وصل علامة البراموس الى هذه النتيجة فان نفس محاورة الرسل بين بعضهم ليعلموا من هو الاعظم تدل على انه عتيد ان يكون أحدهم أولا ورئيساً على الجميع فانه لولم تكن أولية بينهم لكان قول المسيح « من يشاء أن يكون أولا » لاطائل له فلنسمع فم الذهب مفسراً هذا الامر على أحسن وجه قال : « ان التلاميذ قبل حلول الروح القدس عليهم كان قلبهم يميل الى التقدم ويرغب في الرئاسة ويروم العلا ولذا تراهم أحياناً يتشاجرون ويتحاجون فى من منهم هو الاعظم ويغتاظون ممن يطلب التقدم عليهم كما جرى في أمر ابنى زبدى حينما طلبت أمهما من يسوع ان يجلسهما في ملكه الواحد عن يمينه والآخر عن يساره » وهنا شرع فم الذهب يسأل ذاته قائلا : « لماذا ابنا زبدى بعثا بامهما الى يسوع لتلتمس منه امتيازاً لهما على العشرة فيجيب عن سؤاله : لانهما كانا يعلمان انهما أشرف من الكافة وانما كان يفزعان من بطرس » ﴿ تفسير متى طبعة الوطن : مقالة ٦٥ وجه ٢٨٩ ﴾ وذلك لان بطرس كان أكثر تقريباً للمسيح واخص التلاميذ عنده منزلة . ثم فى تفسيره سؤال الرسل للمخاص أعنى « من ترى أعظم فى ملكوت السموات » قال : « لقد لحق بالتلاميذ شئ بشرى ولذلك نبه عنه الانجيلى ... دالا على ان المسيح آثر بطرس على الجماعة وعلى يعقوب ويوحنا اللذين كان أحدهما بكراً ولم يصنع من أجلهم شيئاً مثل هذا . ثم انهم لم يقولوا ظاهراً : لاى سبب آثرت بطرس علينا استحياء منهم ان يعترفوا بالالام الذى حل بهم . ولم يقولوا لماذا هو ﴿ بطرس ﴾ أعظم منا وأجل . لانهم خجلوا من ذلك وسألوا مسألة مهملة غير محدودة من ترى هو أعظم . لما رأوا

ثلثة قد قدموا في الاكرام ما لحقهم مثل هذا . ولكن لما أفضى أمر الكرامة الى واحد حينئذ توجعوا . وليس هذا فقط لكنهم جمعوا أشياء اخرى كثيرة واشعلوا هذا الالم وأضرموه بتذكرهم ما قاله المسيح لبطرس اعنى لك اعطى المفاتيح والطوبى لك ياسمعان بن يونا . ثم هذا: اعطهما عنى وعنك . » (تفسير متى طبعة الوطن : مقالة ٥٨ وجه ٢٠٦) فمن هذه التقارير الشائقة والتفاسير الجلية يتضح ان مشاجرة الرسل ومحاجتهم فى من هو الاعظم كانت صادرة من خوفهم من تقدم بطرس عليهم فانهم راوا ان بطرس كان أعظمهم عند المسيح زلفة وأشرفهم منزلة واعلاهم مكانة . ولذا كانوا فى توجع وحزن لان كلا منهم كان يميل الى التقدم ويحب الترفع . ولكن بعد العنصره اي بعد ما استقر عليهم روح الله وزال عنهم شهوات العالم تراهم ابرياء من داء الكبرياء والرغبة فى الرئاسة مقرين بتقدم بطرس عليهم بكل تواضع وكل محبة فلنسمع الذهبي الفم فانه يقول: أرأيت كيف كان حال الرسل قبل حلول الروح القدس عليهم كان حال نقص . فهذان (ابنا زبدى) شمخا على العشرة واولئك يحسدون الاثنين . اسمع كيف يوحنا هذا نفسه الذى قصد التصدر بسبب التقدم . يتخلى ويفرح لبطرس عن التقدم وقت الكرازة وفى الابركسيس . (تفسير متى طبعة الوطن : مقالة ٦٥ وجه ٩٣) وفي مكان آخر قال الذهبي فمه ان فى الملكوت ليست الكرامة واحدة وفى التلاميذ ليس الكل متساوين ولكن ثلثة منهم يميزون عن البقية . وبين الثلثة فرق عظيم . بلا شك انهم كلهم رسل وجميعهم يجلسون على اثنى عشر كرسياً ومع ذلك اختار ثلثة . وبين الثلثة واحد يعلو الكل شرفاً ومجداً اذ انه يقول ان الجلوس عن يمينى ويسادى ليس لى ان اعطيكما بل للذين اعد لهم فانه يقدم بطرس على الجميع قائلا له : اتحبنى اكثر من هؤلاء ارع خرافى (تفسير الرسالة الى اهل رومة مقالة ٣١) لعمري ان الرسل متساوون فى نفس الوظيفة الرسولية وكلهم يجلسون على اثنى عشر كرسياً ولكن قدم عليهم المسيح ثلثه منهم وبين الثلثه اختار بطرس وجعله رئيسهم . فما بالك اذاً يا علامة

البراموس تصرح وتقول بان الرسل كلهم متساوون في الرتبة والمنصب وليس لاحد سلطاناً على الاخر . العلك تسد اذنيك عند تلاوتك ابا الكنيسة فقد سمعت افضلهم ينادى على رؤوسنا بانه يوجد بين الرسل تميز في الدرجات والمناصب ولكن تآليف البروتستانت اثر عندك من تصانيف علماء البيعة .

ثم ان المسيح قال للرسل . ليكن العظيم فيكم خادماً للجميع والاول عبداً والكبير كالاصغر وهذا تحريضاً لهم على التواضع فيتحاموا الكبر ويأنفوا منه ولا يتشبهون برؤساء الامم الذين ابتغا الافتخار يطلبون التولى ومباشرة التسلط على المرؤسين بحسب مرغوباتهم لا لنفع المرؤسين بل لجر الاكرام والنفع لانفسهم . فقال الرب من أراد فيكم ان يكون عظيما ومتقدما فليخدم غيره وليسهر لا على منافعه ومصالحه الشخصية بل على مصالح غيره مهتما بذلك حتى مع خطر حياته ان لزم الامر . متبعاً اثار المسيح الذى جاء لا ليخدم بل ليخدم وبذل نفسه خلاصاً عن خرافه . فعلى هذا النحو ينبغى ان يكون الرئيس بين المسيحيين . وها ما كانه بطرس كما أوضح ذلك صاحب دليل المصريين (وجه ٢٨) في تفسيره كلام اللقان : ان بطرس غسل ارجل التلاميذ لانه كان خليفة المسيح . وهاك بديع قوله : « ان للرؤساء وذوي الاقتدار سكرة كسكرة الشراب قد تنزه عنها بطرس ذو العظمة السامية وصاحب السلطان الاعلى الذى لا يمكن لانسان البلوغ اليه فانه كان يتذكر قول الرب وهو ان ابن الانسان أتي ليخدم لا ليخدم وكان يردد في عقله وصية سيده : من كان فيكم الاول فليكن بينكم الاخر ولجميعكم خادماً . قد فهم بطرس هذا التعليم الالهى ومطابقة له افتتح مباشرة سلطانه على الكنيسة باعمال التواضع والوداعة متبعاً في ذلك آثار سيده وسالكا سبيله . وأظهر بتصرفه هذا (لما غسل أرجل التلاميذ في العنصرة) انه خلف معلمه الالهى ليس فقط في الملك والسلطان بل رزق أيضاً روح من قال عن نفسه اني وديع ومتواضع القلب » (وجه ٢٩)

فلنبحث عن برهان الدخيل الثاني : ان المسيح ولو انه دعا بطرس بتروس

لكنه لم يبن كنيسته على بتروس بل على البترا التى هى ذاته . فرداً عن هذه الحجة حسبنا ايراد قول الاب كيرلس الذي لابدّ ان يرمى الدخيـل بصماته . كيف لا وهو ان المسيح قال لبطرس أنت سيمون بن يونا ستدعى كيفا الذي تاويله بطرس معلناً له ان اسمه لايكون سيمون بل بطرس ودالا بذات الاسم انه عليه كما على صخرة راسخة عتيد ان يبنى ادارة كل المسيحيين العامة وسياسة الكنيسـة . » (تفسير يوحنا ك ٢ فصل ١٢ (افهمت يادخيـل ان المسيح بنى كنيسته على بطرس أو لم تفهم .

أخيراً قال انه بانكاره رئاسة بطرس على الكنيسة وباقراره ان المسيح هو رأس البيعة الوحيد ما اصبح برتستانياً . كيف ذلك ياعلامة البراموس أتعرف ما هو تعليم البروتسـتان في تشكيل الكنيسـة وتقويمها الذاتي انهم يقولون ان المسيح هو رأس البيعة الوحيد وهو الذي يدبر المؤمنين ويعلمهم معاني الكتاب الشريف الحقيقية واستناداً على ذلك يقولون انه لاحاجة الى بطريرك ومطارنة وأساقفة فان المسيح أبقى لنا شريعته في كتاب وأخذ على نفسه ان يفسر لنـا الغامض منها ويهدينا الى منهج الرشاد فما بالنا نسمع لتأويل الناس ولا نصغى الى صوت الرب . بلا ريب ان جناب الدخيل لايقول كل هـذا ولكنه وضع مبادى منها تنتج ضرورة تعليم البروتستان اما قال ان المسيح وحده هو رأس الكنيسة . فاذاً لا بطريرك ولا مطران ولا مجمع الاساقفة يمكنهـم ان يلقبوا بهذا الاسم فان كان الامر كذلك فلا أرى لمـاذا يطاب من الشـعب المسيحى أى من الكنيسة الطاعة والخضوع لهولاء فان الطاعة لاتؤدى الا للرئيس وهنا لارئيس الا المسيح على زعم الدخيل . فضلا عن انه ليس فقط مباديه متخذة من الشيع البروتستانية ولكن ذات الطريق التى استنهجها وذات الشهادات التى أتى بها هى بروتستانية محضاً فانه لايخفى على احد ان ترجمات الكتاب المقدس التى تقرأ في كل الكنائس منذ الرسـل وتحافظ عليها كل الطوائف قد اسـتخرجت خطاب المسيح لبطرس على هذا النحو : أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابنى

بيعتى » وعلى وجه خصوصى هذه الترجمة ثابتة عند الطائفة القبطية التى لانرى في انجيلها (قطمارس توت في المطبعة القبطية وجه ٤٩ و ٩١) وسنكسارها وطرحها (٥ ابيب) سوى هذه الترجمة : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة . وهى الترجمة المطابقة للاصل . فما شأنه اذاً استهجن بكل هذه الترجمات وتمسك بترجمة البروتستان التى طبعت حديثاً في بيروت قائلا معهم . أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى بيعتى . » اما كان يعلم ان هذه الترجمة فضلا عن انها مناقضة لكل الترجمات المقبولة في الكنيسة منذ الزمن القديم قد أدخلت في ايات التوراة من التحريفات شيئاً كثيراً قد تصدى الى اظهارها العلامة فان هام اليسوعى . فهذه الملاحظات وغيرها جعلت صاحب دليل المصريين ان يشك في ارثوذكسية الدخيل . وفعلا كل الظروف الخارجة تشهد له بانه ما قال في حقه شيئاً زائداً . ومع ذلك لانظن ان علامة البراموس قد رفع راية التمرد على كل سلطة كنائسية وزين له ابليس المعصية فتهور في ظلمها قائلا مع أهل نوتير ان كل المؤمنين متساوون ليس فيهم من يحكم ومن يطيع فان الحاكم واحد وهو المسيح وله وحده الطاعة والخضوع . انما سبيله ان لايتمسك بمباد لم يترو فيها ولم يعرف حقيقتها ويبصر بعواقبها فلا يجرى له ماجرى ويكون ظاهره دليلا صادقا على باطنه .

في ان بطرس اول حبر رومة نصب في هذه المدينة المؤبدة كرسي الرئاسة الكنائسية

ان الراهب البراموسى كان قد انكر جلوس بطرس أسقفاً على رومة وبرهانه كان لان الابركسيس ذكر صريحاً كرازة بولس في مدينة رومة وما تكلم عن ذهاب بطرس الى المدينة العظمى ولا ذكر بشارته بالانجيل فيها . فما كان

بصاحب دليل المصريين عند سماعه هذه الفلسفة الجديدة الا وصرخ قائلا . ما احسن هذا البرهان وتعجب شديداً من منطق الدخيل الذي ما أخبر بمثله قط فانه طالع كتب الاقدمين والحديثين من الفلاسفة فما رأى ان عدم ذكر الشيء دليل على عدم وجوده . الا ان الفلسفة في تقدم ونمو وجناب البراموسى ساعد كثيراً في توسيع نطاقها وأضاف مبادى عديدة ثمينة ولكن يا للخسارة كونها لاتقبل الا في البراموس ولا تتجاوز حدوده

ثم بعد الاندهاش أخذ صاحب دليل المصريين يثبت من ذات المجامع والسنكسار القبطى حقيقة جلوس بطرس اسقفاً على سدة رومة اما الدخيل فيتضح من جوابه انه ترك فلسفته الجديدة ورفض البرهان الذي اتخذه من سفر الابركسيس وبيان أيضاً انه سلم بالبينات المبنية على السنكسار القبطى المقررة اسقفية بطرس في رومة وخلافة الاحبار الرومانيين لبطرس . الا انه فضل على السنكسار القبطى بعض مؤرخين منهم من ينكر انكاراً قطعياً كون بطرس دخل رومة واستشهد فيها ومنهم من يقول بانه اقام فيها مدة قصيرة جداً في أخر حياته بعد تأسيسها من بولس . فاردنا ان نعرف من هم أولئك المؤرخين الذين نالوا شهرة عظيمة في فن التاريخ ولكن باطلا فانه لا هو ولا صاحب تاريخ الانشقاق الذي نقل عليه ذكرا لنا أحداً منهم . فلنأتيه اذاً نحن بجملة مؤرخين عارفين بالاخبار القديمة فان منهم من كان معاصراً للرسل والاخرون هم أهل الاجيال الخمسة الاولى . وكلهم يذكرون ذهاب بطرس الى رومة وموته هناك وقسم كبير منهم يخبر بجلوسه اسقفا على كرسى رومية ٢٥ سنة وتأسيسه كنيستها قبل كرازة بولس فيها .

اما الذين يتكلمون عن ذهابه الى هذه المدينه العظمى وعن استشهاده هناك فهم (١) بطرس الرسول الذي يشهد لنفسه انه كان في رومة ومنها كتب الى كنائس اسيا قائلا : مرقص ابنى والكنيسة الكائنة في بابل (اعنى رومة حسب تأويل يوحنا في الرويا ١٧ : ٥ و ٩ و ١٨) يسلمون عليكم

(٢) ثم القديس بولس الذي يشهد على ان بطرس كرز بالانجيل في رومة وأسس كنيستها قبل قدومه اليها اذ انه كتب في رسالته الى أهل رومية ١ ١٢٠ قائلا : اني كثيراً ما قصدت ان أتيكم فمنعت الى الان . فاذاً حين كتب الرسول بولس هذه الرسالة ما كان ذهب الى رومة ومع ذلك يقول ان الايمان قد أضاء فيها واتسع فمن ياترى قد كرز بالانجيل في هذه المدينة العظمى قبل الرسول بولس لاينبئنا التاريخ الا عن بطرس . فاذاً بطرس ذهب الى رومة وأسس كنيستها قبل اتيان بولس اليها .

وفي أوائل الجيل الثاني أى بعد موت الرسل بسنين قلائل يشهد بذلك (٣) بابياس (٤) واجسيبوس في كتابه عن خراب أورشليم (٥) وديوناسيوس الكورنثي (٦) والقس كايوس . وشهادتهم أوردها المؤرخ الشهير افسابيوس القيصري في تاريخه الكنائسي ك ٢ صح ١٥

وفي الجيل الثالث (٧) قال أوريجان علامة الاسكندرية (تفسير التكوين ك ٣) . «ان بطرس مكث في رومة الى آخر حيوته وصلب فيها منكس الرأس تواضعاً منه لئلا يماثل سيده . وفي معناه تكلم (٨) ترتوليانس (٩) ولكتنسيوس احدهما في كتابه ضد مارسيون والآخر في كتاب ٤ من الالهيات

وفي الجيل الرابع (١٠) قال افسابيوس ان بطرس الاول (بروتوس) كرز في رومة (التاريخ الكنائسي ك ٢ صح ١٤) ثم في فصل ٢٥ قال : ان نيرون قطع رأس بولس وصلب بطرس في رومة . ولا حاجة الى ايراد شواهد لاثبات ذلك فان قبرهما المكرم يشهد للجميع بهذه الحادثة .» وقال قوله (١١) ايرنيموس في تاريخه الرجال العظام حياة بطرس (١٢) والقديس اثناسيوس في رسالته الى المتوحدين (١٣) ويوحنا فم الذهب في مقالته ٣٢ من تفسيره رسالة بولس الى اهل رومة (١٤) والقديس امبروسيوس في كتابه عن اسرار البيعة ك ٣ صح ١ ثم (١٥) القديس ابيفانيوس في بحثه عن ارتقة ٢٧ ثم (١٦) الامبراطور ثاودوسيوس في كتاب الشرائع فصل الثالوث الاقدس والايمان

الكاثوليكي . (١٧) والقديس ابطاطوس فى كتابه ٢ ضد برمنيانس (١٨)
والقديس باسيانس فى رسالته الى احد الاراتقة .
أخيراً في الجيل الخامس { ١٩ } قال تاودريتوس فى تفسيره رسالة بولس الى
أهل رومية فصل ١ : ان بطرس الاول { بروتوس } كرز فى رومية ونال اكليل
الشهادة فيها . ونطق بمثل هذة الاخبار { ٢٠ } اغسطينوس في رسالته ١٦٥ ثم
{ ٢١ } بولس اروزيوس في تاريخه العمومى ك ٧ فصل ٦ وأخيراً (٢٢) دروتاوس
في مختصره . (٢٣) واذا سمح لنا علامة البراموس اوردنا التقليد الذي آسلمته
من الرسل كل الكنائس حتى المنشقة من رومة واتينا بشهادة الكنيسة
القبطية التى لا يعتمد الدخيل على كتبها مفضلا قول تاريخ الانشقاق على تعليمها .
فانها تقر مع كل الكنائس الشرقية والغربية فى كتبها الطقسية المقدسة بان بطرس
ذهب الى رومة ومات فيها شهيداً
اليك الان بعض من المؤرخين الذين ذكروا جلوس بطرس اسقفاً على كرسى
رومة . وأولهم القديس ايريناوس الذي نظم سلسلة احبار رومة وفى اول السلسلة
وضع بطرس (ضد الاراتقة فصل ٣) . (٢) وترتوليانوس في نشيده على
مارسيون قال : ان بطرس رأس الرسل قد جلس على كرسى رومية العظمى ثم
جلس بعده لينوس الخ . » { ٣ } والقديس كبريانوس فى كل مؤلفاته وخاصة
في كتابه عن وحدة الكنيسة يدعى كرسى رومية كرسى بطرس الرسول . وفي
رسالته الى البابا كرنيليوس : ان الاراتقة قد سافروا الى رومة كرسى بطرس
الذي لا يقرب منه ضلال . (٤) وافساسيوس المؤرخ الشهير في الكرونيكون
على سنة ٤٤ : ان بطرس الجليلى الجنس هو اول حبر النصارى وبعد ما أسس
كنيسة انطاكيه ذهب الى رومة حيث كرز بالانجيل ومكث ٢٥ سنه اسقفاً عليها .
(٥) والقديس ايرونيموس في تاريخ الرجال العظام حيوة بطرس : قد ذهب
سمعان بطرس الى رومة لمقاومة سيمون الساحر . وهناك جلس على كرسى الاسقفية
٢٥ سنة التى اخرها السنة الرابعة عشر من ملك نيرون وفى هذه السنة صلب

منكس الرأس . (٦) ودوروتاوس في مختصره : ان بطرس هامة الرسل كان أسقف رومة وخلفه لينوس الخ . (٧) والقديس ابطاطوس في كتابه الثاني ضد برمنيانوس . لا يمكنك ان تجهل ان في رومة كرسي الوحدة الكنائسية وانه جلس عليه بطرس ثم لينوس ثم اكليس . (٨) واغسطينوس في رسالته ١٦٥ يقول عن كرسي رومة : أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي لان بطرس جلس الاول عليه ثم لينوس ثم اكليس . » (٩) وبولس اورزيوس في التاريخ العمومي : ان بطرس سافر الى رومة في أوائل ملك كلوديوس وبقي اسقفاً على هذه المدينة الى اخر حياته . (١٠) ايزيدوروس في حياة بطرس : بعد ما اسس كنيسة انطاكية سافر على عهد كلوديوس الى رومة لمقاومة سيمون الساحر وجلس هناك على كرسي الاسقفية ٢٥ سنة . »

ماذا تقول بعد هذه الشهادات العديدة . لعمري اننا لما رأينا محفل هؤلاء المؤرخين الذين كانوا بمكان من العلم مكين . ومورد من القداسة عذب معين . كلهم مقرين بذهاب بطرس الى رومة وجلسوه اسقفاً على هذه المدينة المؤبدة . أخذنا العجب العجاب من راهب البراموس الذي ظن ان السنكسار وحده نطق بهذه الحقيقة واننا نضلنا شهادته على اعظم المؤرخين المنتقدين والباحثين في الحقائق التاريخية اهذا علمه الواسع في التاريخ . اما يعلم ان علماء البروتستان انفسهم قد قروا بهذه المسألة أما قرأ ما كتبه برسينوس البروتستاني في مقالته في تخلف احبار رومة الاولين . وما قاله كاريوس البروتستاني أيضاً في تاريخه عن المؤلفين الكنائسيين . لان تآليف هؤلاء أقرب اليه من تصانيف الاباء القديسين وكتب الكنيسة القبطية . ولذا دخلنا في اندهاش لا بعد منه اندهاش ولكن ليس العجب من عدم التضلع في بعض مسائل ولكن العجب من جهل المرء بالشئ وقوله بالعلم به .

وبعد ما أظهر لنا الدخيل باعه الطويل في التاريخ وان له في دقائق هذا الفن خبر . شرع يتكلم فلسفياً فقال . لنبحث في كيف وصلت خلافة بطرس الى

البابا وحده . واضاف بانه يعلم بالبداهة ان صاحب دليل المصريين يجيب اذ سأله عن ذلك قائلا ان الخلافة اتصلت من بطرس الرسول بالتسلسل بواسطة اكليمس الذي قبل الشرطونية من يد الرسول نفسه وختم كلامه قائلا : على ما نرى ان هذا الافتاء يكذب مع صاحب دليل المصريين . — فنقول : لقد أصاب الدخيل في رأيه . بلا شك ان هذا الافتا يكذب ولكن ليس مع صاحب دليل المصريين بل مع جهل الدخيل وغباوته . ليقل لنا علامة البراموس في اى صفحة من دليل المصريين قرأ ما اتى به لا بل فليعلمنا في اي مجلدات علماء الكنيسة الكاثوليكية التى هى اكثر من ان تعد صادف هذا القرار . هاك تعليم الكاثوليك في هذه المسألة : ان السلطة تتصل من رئيس الى اخر على وجهين اما بالعدول عنها وتسليمها الى اخر قبل موت المالك أو بموت الرئيس والقيام مكانه فى السلطة نفسها كما نرى حتى في القانون المدني لا بقبول الشرطونية منه كما زعم الدخيل والحال ان التاريخ لا يعلمنا هنا ان بطرس تنازل عن رئاسة الكنيسة في حياته وتركها لغيره . فانرى اذاً من قام بدلا منه بعد وفاته وجلس على كرسى رومة فيخبرنا التاريخ ان أول من جلس على سدة رومة بعد موت بطرس هو لينوس ثم اكليمس وكذا تتابع بالتسلسل الاحبار الرومانيون خلفا بطرس في الرئاسة الى يومنا هذا ها هو مذهب الكاثوليك وها ما نطق به صريحاً السنكسار القبطى واسهب فى شرحه صاحب دليل المصريين . أما قرأ الدخيل وجه ٤٤ ان لينوس خلف بطرس على كرسى رومية . أما رأي كيف وصلت اليه الخلافة هل قال صاحب دليل المصريين لانه قبل من بطرس الشرطونية كلا بل لان بطرس كان أسقف رومية ومات وهو جالس على هذه الكرسى وخصص لهذا الكرسى الرئاسة الكنائسية . فما بال الدخيل اذاً ينسب للكاثوليك تعليما لا يصادقون عليه ومبادي أشبه بترهات البسابس ويبنى عليها قياسات ويستخرج منها نتائج أفسد من الفساد . فليعلم انه من اصول الجدال المنظوم أن يعرف الطرفان أقوال بعضهما والمبادي التى يستند عليها كل منهما رأيه حين ذلك يسير الجدال سيراً منتظما . ولكن الدخيل لا تهمه

أمور مثل هذه ولا يكترث بهذه القواعد الابتدائية بل يحب أن يتكلم عن كل شئ وعن كل شئ يحب أن يبدي رأيه ولو في امور يجهلها وعليه تراه أغلب الاوقات يهرف بما لا يعرف .

أخيراً بعد ما تكلم تاريخياً وفلسفياً أتانا ببعض سؤالات يشأ الجواب عنها من صاحب دليل المصريين ويقول انه تعلمها ليس في المدارس الجزويتية ولكن فى مدرسة يسوع فى دير البراموس . فلنصغ الان الى سؤالاته لنجيب عنها اذا كان ذلك في وسعنا قال أولا : انه لما مات بطرس وبقى اكليمس رأس الكنيسة ولم يبق حيا سوى يوحنا الانجيلي هل كان التلميذ الحبيب مرؤساً لا كليمس ولكن هذا تجديف . والبتول مريم ماذا تقول عنها هل كانت خاضعة أيضاً لبطرس ولكن هذا هذيان واحتقار لوالدة الاله .

اننا قضينا العجب من الدخيل عند سماعنا هذه السؤالات كيف تعلمها فى مدرسة يسوع فان المخلص له المجد علمنا الطاعة لرؤسائنا مهما علوناهم قداسة وعلماً وليس هذا بالقول فقط بل بالعمل فانه تنازل هو الملك والاله وخضع ليوسف النجار وأطاعه مدة ثلاثين سنة . لا لعمري ان الدخيل ما تعلم هذا في مدرسة يسوع الذي قال عن نفسه انه وديع ومتواضع القلب وصدق حين قال انه ما تعلمه في مدارس الجزويت، فان هؤلاء من جمعية يسوع كما اسمهم يدل عليهم ومتمسكون بمباديه الالهيه . بل تعلمه فى تاريخ الانشقاق الذي نقله بالحرف الواحد وعرفاناً بالجميل وشكراً للمعروف سماه مدرسة يسوع . فلنجيبه الان عن سؤالاته التى قال فيها أولا بان خضوع مريم لرئيس الكنيسة هو احتقار لها . وذلك مردود ليس فقط من الكاثوليك ولكن من ذات اعتقادات البراموسى نفسه أما يؤمن بان السلطان الكنائسى أي حل الخطية وتقدمة الذبيحة الالهية وسن الشرائع ما فوض الا للرسل وان سبيل كل المؤمنين بالمسيح ان يخضعوا لهذه الاحكام ويذهبوا الى الرسل لتناول جسد الرب من يديهم . قل لى الان ياعلامة البراموس : ألم تكن البتول مريم سيدة السموات والارض مؤمنة

بالمسيح ومن الكنيسة . ألم يكن يلزمها ان تخضع لشرائع البيعة . وحين كانت تشأ ان تغذى نفسها بخبز الحيوة ألم تكن تذهب الى الرسل وتقبله من أيديهم . أليست هذه الافعال تنبئ على ان البتول كانت فيها مرؤسة ليس فقط لبطرس ولكن للرسل اجمعين . وفي هذا الخضوع ما كانت ترى اهانة لجلالتها التى لاتساوى ولا احتقاراً لمنصبها الذى لايدانى . علما منها بانها بطاعتها للرسل ما كانت تطيع انسانا بل الله عينه . ها هى مبادى الدين المسيحى وراهب البراموس أولى بمعرفتها . ماذا اقول : ان البتول ليس فقط ما كانت ترى بصنيعها هذا انحطاطاً بشرفها بل كان خضوعها يملأ قلبها حبوراً اذ يجعلها شبيهة في كل وجه لابنها الحبيب الذى من حيث انه اله عظيم خضع لانسان حقير افهمت الان يابراموسى ان الخضوع وعلى وجه خصوصى خضوع البتول مريم كان لها مجداً وفخراً وهذا مما يسقط دعواك الثانية فانه اذا كانت طاعة مريم لبطرس ما مست مقامها الذي لايطاول ايمكنك القول بانه ليس من منزلة يوحنا الانجيلى ان يخضع لاكليمس . فما بالك اذاً تنادى ان لنى هذا التعليم كفراً وتجديفاً .

الباب الثالث

فى ان رئاسة بطرس هى دائمة فى الكنيسة

قد رأينا ان صاحب دليل المصريين اثبت من الانجيل ان المسيح ابتغاء وثاق الوحدة في الكنيسة المنتشرة شرقاً وغرباً جعل لها أساساً تقوم عليه وحدتها واقام رئيساً يدبر المؤمنين ويحسن سياسة الرعاة . ثم أحب تكون البيعة الى أخر الزمان ولذا شيد أركانها لاعلى الرمل ولكن على الصخر الذى لاتفنيه الايام . وحيث ان المسيح وعد كنيسته ان يكون معها الى انتهاء الاجيال

استنتج صاحب دليل المصريين بان الكنيسة عديمة الفناء وحيث الكنيسة لاتموت فلزم الامر ان الاساس أيضاً لايموت . لانه ضرب من المحال ان يبقى البيت الذي دك أساسه . وحيث ان الاساس هو بطرس الذي قال له المسيح أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابنى بيعتى فاذاً بطرس لايموت بل يدوم مادامت الكنيسة . ولكن بطرس شخصياً قد قضى نحبه من أجيال عديدة فاذاً ينبغى ان يدوم في شخص خلفائه أحبار رومة . أعجب به تعليما صريحاً ومملوآ حكمة . ولكن الدخيل ما أبصر شيئاً من هذا بل رأى ان صاحب دليل المصريين استخرج نتيجة أى ديمومة الرئاسة في الكنيسة من قضايا مضطربة يلزم عليها الدور . — فلنسأل فيلسوفنا ماذا يفهم بالدور فان المنطق يعلمنا ان الدور عبارة عن ان يكون شيئان ملتبسين يثبت كل منهما بالاخر فتصفحنا براهين الاب جرجس الفاضل وبحثنا في هل يمكن ان يطلق عليها هذا التحديد فما رأينا الى ذلك سبيلا . والحق يقال : أين في كلام دليل المصريين القضايا المضطربة وأين اثبات كل منهما بالاخرى . هاك قضيته : ان الكنيسة عديمة الفناء هل يشك الدخيل في هذه القضية فان ارتاب فيهاجعل ابن الله كاذباً فانه قال انه يكون مع كنيسته الى انقضاء الدهر مساعداً اياها بنعمته ومعضداً لها بقدرته لئلا تقوى عليها أبواب الجحيم فما باله اذا يتكلم عن قضايا مضطربة . وان كانت هذه القضية أى ان الكنيسة عديمة الفنا صريحة فالنتيجة التى تتولد منها أى دوام أساس الكنيسة ليست باقل صراحة . وهذا ما قاله صاحب دليل المصريين . ولكن لكى يقيم الدخيل الحجة على الاب جرجس الفاضل انه قد اثبت امرين ملتبسين كلا منهما بالآخر انسب اليه كلاماً ليس له عين ولا أثر في مؤلفه وهو : ان الكنيسة لاتموت لانها مبنية على بطرس وبطرس لايموت لانه مبنى على الكنيسة . » متى علم صاحب دليل المصريين ان بطرس هو مبنى على الكنيسة وفي أى وجه من كتابه نطق بمثل هذا الكلام أليس تعليمه بخلاف ذلك . بلا ريب لانه لو كان بطرس مبنيا على الكنيسة لما كان أساسها وركنها

الامر الذي قصد صاحب دليل المصريين اثباته في كل صفحات مؤلفه ولكن ربما ظن الدخيل انه يحل للمرء اذا عجز عن البرهان ان يستعمل الكذب والبهتان فليعلم ان هذه الطريقة سيئة ولا تؤدى ناهجها الا الى الخزي فيكون هو الجاني على نفسه بفعاله والدال على فضيحته بمقاله

صوت القديس ايريناوس

بعد ما انتهى صاحب دليل المصريين من ايراد الشهادات والبراهين النقلية التى جمعها من المجامع والكنيسة القبطية أخذ يورد أقوال الاباء اثباتا لرئاسة الاحبار الرومانيين وأسمعنا أولا صوت القديس ايريناوس الذي قصد فى كتابه الثاني ضد الارتقات الخام الاراتقة وهذا باثباته لهم أمرين أحدهما ان مجامعهم مرذولة وغير قانونية والاخر ان ايمانهم مخالف لايمان الرسل . فبين لهم ان مجامعهم مرذولة لان كنيستهم منفصلة عن الكنيسة الرومانية وهاك كلامه : سبيل كل الكنائس فى كل مكان أن تعقد رباط الاتحاد وثيقاً مع هذه الكنيسة (الرومانية) وتكون على اتحاد تام معها لان لها الرئاسة على كل الكنائس . » ثم برهن لهم ان ايمانهم مخالف لايمان الرسل بهذا القول لانه بواسطة سلسلة الاحبار الرومانيين وصل ايمان الرسل في الكنيسة . ولانه « في وسعنا ان نتلقى الحقيقة كلها من فم الكنيسة الرومانية حيث الرسل جمعوا فيها كنى بحر متسع كل مياه الحكمة الازلية » ولانه « بها وفيها حفظ مؤمنو العالم باسره فى كل الاجيال تقليد الرسل وايمانهم »

فما اجاب الدخيل على هذه الشهادة الناطقة صريحاً برئاسة الكنيسة الرومانية على كل الكنائس المسيحية . قال انها لاتؤيد الرئاسة . (١) لان القديس ايريناوس كان غربياً فكلامه قاصر على كنائس الغرب التى كانت تعتبر كنيسة رومة بالنسبة اليها ذات اهمية وأكثر قدمية فهو يقصد ان تكون علاقات الكنائس

مرتبطة على الدوام بتلك الكنيسة الرسولية . اما بالنسبة الى الشرق لايصح ذلك . (٢) قيل ان كنيسة رومة لها الرئاسة على باقي الكنائس لان مركزها كان وقتئذ مركز وعاصمة المملكة الغربية والشرقية . فنقول أولا ان القديس ايريناوس ولو غربي الجنس فمع ذلك يتكلم هنا عن كل الكنائس لاسيما عن كنائس الشرق . وهذا يظهر جلياً سوى من ذات الالفاظ التي أتى بها سوى من الغاية التي قصدها . فمن الالفاظ ذاتها اذ انه يقول . كل الكنائس . في كل مكان . كل المؤمنين حيثما وجدوا ملزمون ان يتحدوا مع كنيسة رومة . هل كل كنائس الله لاترى الا في الغرب هل أوروبا هي كل مكان . هل كل المؤمنين حيثما كانوا ليسوا الا في أقاليم الغرب . وهل لايرى في الشرق أحد متمسكا بالدين . فهذه كلها اذاً أقوال ظاهرة كالشمس تدل بلا شك على جميع الكنائس الكائنة شرقاً وغرباً . فضلا عن ان القديس ايريناوس يوجه خطابه الى كل الاراتقة ولا سيما الاغنستيك الذين نبغوا في اسيا وانتشروا في كافة البلاد الشرقية . ثم من ذات الغاية التي قصدها. فان قصد ايريناوس افحام الاراتقة باعلانه لهم الايمان الذي تحافظ عليه كل الكنائس الرسولية . ولكن اذ يعسر تعداد كل الاساقفة « المقامين من الرسل » وكل كنائس الله قال انه يكفي ان يعلن لهم ايمان الكنيسة الرومانية . لماذا يكفي ؟ لان كل كنائس الله التي يطول تعدادها سبيلها ان تكون على اتحاد تام مع هذه الكنيسة العظمى اذ هي رأسهن وبها وفيها يحفظ التقليد الرسولي في العالم باسره . ولكن من لا يرى ان الكنائس التي لم يذكرها ايريناوس ويقول عنها انه من اقدس واجباتهن ان تتحدن وتتفقن مع الكنيسة الرومانية هي الكنائس الشرقية وخاصة كنيسة الاسكندرية وانطاكية واورشليم وافسس وازمير فان المؤلف نبه صريحاً ان الكنائس التي تعدادها طويل وسبيلهن ان تكون في شركة رومة لسن الا « الكنائس التي اسسها الرسل وأقاموا كراسيها » . فاذا على الكنائس الشرقية ان تتمسك بايمان رومة وان تكون في اتحاد تام معها فانها رأسهن والا فيلحق

بهن أعظم المصائب اعنى ان تكون جمعيات غير شرعية ومرذولة من الله ١٠
والآن في أى معنى يقال عن الكنيسة الرومانية انها تقلدت الرئاسة على باقى الكنائس . هل لان مركزها كان وقتئذ كما زعم الدخيل عاصمة المملكة الشرقية والغربية . كلا فان ايريناوس كما رأيتم ما اتانا بهذا السبب بل اورد خلافه والحق يقال انظروا الى امتيازاتها على باقى الكنائس وتأملوا فيها ترونها كلها دينية . فان القديس ايريناوس يقول ان كنيسة رومة اعظم الكنائس ورأسها (ارخيكى) لانها تأسست من بطرس هامة الرسل وبولس نذير الامم : لان فيها وبها حفظ جميع المؤمنين في كل مكان ايمان الرسل : لان فيها حصرت كفى بحر متسع كل مياه الحكمة الازلية كى يرد منهلها كل من يشاء ويستقى منه ماء الحيوة . ها ما يميزها عن غيرها من الكنائس ويجعل لها السلطان عليهن . وكل هذا كان قد شرحه طويلا صاحب دليل المصريين وبين عنه بلفظ افصح وتفسير أوضح . ولكن الدخيل سها ولم ينتبه . وان عذرناه لانه كان ساعتئذ شاغلا الفكرة ومهتما فى نقل تاريخ الانشقاق الا انه لا يعذر اذا ظن ان في صنيعه هذا كفاية للرد

صوت القديس كبريانوس

لا حاجة هنا الى ايراد شهادة هذا القديس كما اتى بها صاحب دليل المصريين فانه على ما زعم الدخيل قد جاء بها بالنقص والزيادة والتحريف والتغيير . وهل تظن ايها القارئ اللبيب ان علامة البراموس قد اسند دعواه هذه على النص الاصلى . كلا . فانه قرّ ان كتب هؤلاء الاباء لم تبلغ لديه بل اسنده على ترجمة صاحب تاريخ الانشقاق . ولكن من اخبره بان التحريف ليس من جهة هذا الاخير مثلا . فماذا تقول عن منطقه لقد صدق صاحب دليل المصريين حين هتف شاكراً ربه بان هذا المنطق لم يتجاوز حدود البراموس . وفي الحقيقة ليس

التحريف من جهة الاب جرجس الفاضل . ولا زالة كل ارتياب في هذا الامر نورد النص اللاتيني الاصلي مؤملين بان علامة البراموس حين اطلاعه عليه يهتم في معرفة اللغة اللاتينية كما عمل بوصية صاحب دليل المصريين وتفقه في زمن وجيز في اللغة اليونانية . اليك اولا ترجمة الدخيل . ان الرب يبني كنيسته على واحد وهو بطرس ويامره ان يرعى خرافه . ومع انه منح لجميع الرسل بعد قيامته سلطاناً متساوياً بقوله لهم كما ارسلني الاب كذلك ارسلكم مع ذلك لكي يوضح الوحدة المبدوة من واحد جعل بدء هذه الوحدة في سلطانه الخاص . فكل ما كان بطرس هو عينه كان ايضاً بلا بد الرسل الباقون لانهم نالوا الكرامة والسلطة اسوة له . غير ان البدأة تنبعث من الوحدة لتتضح كنيسة المسيح واحدة فالذي ليس على الاتحاد مع هذه الكنيسه العله يستطيع ان يظن بثقة انه على الايمان . والذي يقاوم ويضاد الكنيسة العله يثق بانه في الكنيسة .. الخ »

فقبل مضاهاة هذه الترجمة مع النص الاصلي نقول ان البراموسي قد حذف بدء الشهادة الذي نرى فيه « بان سبيل كل المسيحيين ان يتمسكوا شديداً برئيس الكنيسة لئلا تتمزق الوحدة ويفسد الدين . « لما رأى الشيطان عبادة الاوثان قد تلاشت اخترع حيلة جديدة وأخذ يضل المسيحيين في ذات اعتقادهم . فابدع الارتقات والانشقاقات وهذا لافساد الدين وتمزيق الوحدة . امر لا يكون الا بعدم الاتحاد مع الرئيس وقلة اتباع المعلم السماوي . ان برهان الايمان ليس بطويل وقريب المأخذ لان الرب قال لبطرس . انت الصخره وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي . » وليس عسراً على القارئ ان يفهم لماذا الدخيل والذي نقل عليه حذفا هذا الابتدا الذي جاء به صاحب دليل المصريين فانه يقول ان خلاصة الدين وجوب التمسك بالرئيس الذي هو بطرس القائل له المسيح . انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي .

وبعد الحذف أخذ الدخيل في التحريف . لانه بعد ما قال ان الرب يبني كنيسته على واحد وهو بطرس ... قال لكي يوضح الوحدة المبدوة من

واحد جعل هذه الوحدة في سلطانه الخاص . اما كبريانوس فقال . « اعلانا للوحدة اقام كرسياً واحداً ووضع بسلطانه الخاص مبدأ الوحدة فى واحد . »
(١) لعمرى ان بين قول كبريانوس وترجمة الدخيل فرقاً عظيما. فان الدخيل قد جعل مبدأ الوحدة في سلطان المسيح الخاص اما النص الاصلى فيضع اساس الوحدة في واحد (اعنى بطرس) وفي كرسى واحد (أعنى كرسى رومة) وهكذا ترجم صاحب دليل المصريين . ثم أضاف الدخيل . « غير ان البدأة تنبعث من الوحدة لتتضح وحدة الكنيسة » ولكن كبريانوس قال . « غير ان البدأة تنبعث من الوحدة فان الرئاسة فوضت لبطرس حتى يتضح ان كنيسة المسيح واحدة وان الكرسى واحد . » (٢) في هذا المكان قد اعلن كبريانوس رئاسة بطرس صريحاً وما امكن الدخيل التحريف فاستعمل أقرب طريقة اعنى الحذف . ثم انه لا يقرّ بان كرسى الكنيسة وتخت مملكة المسيح الروحانية واحد بل كثير بعدد البطاركة اذ كل منهم مستقل بذاته وله كرسى خصوصى لا يعلوه كرسى فلذا ضرب بقلمه على هذه الفقرة التى تضاد اعتقاده اعنى بها : فوضت الرئاسة لبطرس حتى يتضح ان الكنيسة واحدة والكرسى واحد . وليس هذا انتها تحريفه فانه أردف : ان الذي ليس على الاتحاد مع هذه الكنيسة العله يستطيع ان يظن بثقة انه على الايمان والذي يقاوم ويضاد الكنيسة العله يثق بانه في الكنيسة . وأما كبريانوس : هل يظن من نبذ هذه الوحدة انه متمسك بالايمان . ومن يقاوم الكنيسة وينفصل عن الكرسى البطرسى الذى شيدت عليه الكنيسة العله يثق بانه في الكنيسة . » (٣) لقد لحظ البراموسى ان هذه العبارة : « من انفصل عن الكرسى البطرسى العله يثق انه فى الكنيسة »

---

(1) « Ut unitatem manifestaret, unitatis originem ab uno incipientem sua auctor itate disposuit. » [Vn. Eccl. cap. a].

(2) « Primatus Petro datur, ut una Christi Ecclesia et Cathedra una monstretur.„ "Ibid."

[3] « Qui Cathedram Petri, super iuam fundata est Ecclesia, deserit, in Ecclesia se esse confidit ? » "Ibid."

تحكم عليه بانه غريب عن كنيسة الله وحائد عن الايمان القويم وهذا بمجرد كونه منفصلا عن كرسى بطرس . فماذا عمل ليتخلص من هذا الحكم المرعب حذف وحرف . ولكن حذفه وتحريفه أوضحا لنا على أحسن وجه ان رئاسة بطرس والكرسى البطرسى على كل الكنيسة هى من الحقائق الصريحة عند القديس كبريانوس فانه لايكفى لانكارها السفسطةوالتاويل المعوجة بل لزم حذفها بالكلية كما صنع الدخيل

أخيراً بعد الحذف والتحريف أخذ في التهريف فانه قال . ماذا يستنتج صاحب دليل من قول كبريانوس : ان الرب منح لبطرس سلطانا متساوياً . وقوله جعل الوحدة فى سلطانه الخاص : وقوله . كل ما كان بطرس كان الرسل وان الرتبة الاسقفية واحدة . » وأراد بكلامه هذا ان بطرس ليس له رئاسة على الرسل . ياللعجب اما رأى ان قصد كبريانوس في هذا المحل لابل في كل مؤلفه على وحدة الكنيسة ان يبين ان وحدة الكنيسة لايمكنها ان تقوم الا بوجود رئيس واحدعام ولذا فوض المسيح لبطرس الرئاسة وبنى عليه وحدة الكنيسة وجعل كرسياً واحداً وان من انفصل عن هذا الكرسى اعنى الكرسى الرومانى باطلا يظن انه في كنيسة الله . اما قرأ الدخيل كل هذا . اما امكنه ان يستنتج منه رئاسة بطرس على كل الرسل . ومع ذلك ما كان يلزم لهذا فلسفة عظيمة فان كبريانوس نادى برئاسة بطرس بكلام صريح كما رأيتم . فاذا مامعنى قوله ان الرب منح للرسل سلطاناً مثل الذى اعطاه لبطرس فمعناه ان كل الرسل متساوون في نفس الوظيفة الرسولية والرتبة « الاسقفية » التى هى واحدة متساوية فى الجميع ونحن أيضاً نعتقد بذلك ولكن ليفهم الدخيل ان هذا لايمنع بطرس ان يكون رئيساً على الرسل . وكيف ذلك . اسمع قول كبريانوس فانه اعلن هذا الامر صريحاً بقوله . « وان يكن قد فوض بعد قيامته للرسل سلطاناً مثل الذي اعطاه لبطرس فمع ذلك (امل سمعك يابراموسى) اعلاناً للوحدة التى لابد ان تكون في كنيسته اقام كرسياً واحداً . وفوض الرئاسة لبطرس حتى لايكون

الا كنيسة واحدة . » كانه يقول . بلا شك ان كل التلاميذ لهـم السلطان ان يحلوا الخطايا وان يبشروا بالانجيل في كل المسكونه" بالتالى انهـم متساوون في نفس الوظيفة الرسولية والرتبةالاسقفية . ولكن حتى تكون الكنيسة واحدة لا بد من رئيس واحد يجمع الكل فى الوحدة . وهذا الرئيس هو بطرس . أما قولك : ان المسيح جعل الوحدة في سلطانه الخاص فهذا تحريف محض كما رأيت . هالك ما يوجد في الاصل : ان المسيح جعل بسلطانه الخاص مبدا الوحدة فى واحد مشيراً بذلك عن بطرس وهـذا ما يطابق ماقاله في ابتداء كلامه : ان الرب يبنى كنيسته على واحد وهو بطرس)

أخـيراً أتانا الدخيل ببعض فقرات من رسائل هذا القـديس وأدرجها في تأليفه وما استخرج منها نتيجة . واليك ملخص ما قاله القديس كبريانوس فيها : أولا ان عمـاد الاراتقـة لايصح وان البابا استفانوس الذى يقول بصحتـه هو محامى الاراتقة . ثانياً ان كل أسقف له السـلطان الذاتي في حريته وسـلطته الخاصـة به وكما انه لايمكن ان يحاكم من اخر ليس له ان يحاكم أخر . وان المسـيح وحده له السلطان أن ينصبنا فى سياسة الكنيسة وان يحكم فى أعمالنا.

لسـت أظن أن الدخيـل يريد ان يدافع عن القـديس كبريانوس في المسألة الاولى ويقول بضلال البابا . فان المجمع النيقاوى المسكوني قد قرر صحة عمـاد الاراتقة وانه عند رجوعهم الى الايمـان القويم لايلزم الا وضع الايدى عليهم . وهذا كان تعليم البابا بالحرف الواحد . أما قول كبريانوس بان كل أسقف حر ولا يمكن ان يحاكم من اخر وان المسـيح وحده له السلطـان ان ينصبنا ويحكم في أعمالنا فضلال اذا أخـذناه حرفياً لان المسيح ليس الحكم الواحد فى أعمال الاساقفة بل أيضاً على الاقل المجامع كما يقر بذلك البراموسى وكل انسان له بعض المام بقوانين الكنيسـة . وهل هـذا الامر كان يجهله كبريانوس الذى أحاط بعامه أموراً كثيرة من دقائق الدين واتقن معرفتها . فـما المراد اذاً بكلامه . يريد انه فى الاشياء المرتاب فيها كل أسقف حر فى اداء رأيه ولا يمكنه ان يحاكم من

اخر وظن ذلك فى مسألة عماد الاراتقة ولذا طلب من أساقفته حرية الاصوات. وهذا هو تفسير القديس اغسطينوس الذى كان يعرف تآليف كبريانوس حق المعرفة . مع كل ذلك نقول ان كبريانوس تلفظ بهذه الاقوال فى وقت حرارة الجدال والغضب عند ما تهدده القديس استفانوس بالحرم والحذف من البيعة . وانه كما قال عنه اغسطينوس تصرف في هذه المسألة تصرفا سيئاً واخطاء فى كلامه وخاطر علي خلاصه . ولكنه محا ذنبه بدم الشهادة . ولذا أخذنا العجب كون البراموسى لم يتخذ لاثبات دعواه الا اقوال لزم سفك الدم لمحوها . ثم من هذه الحادثة نفسها نلاحظ ثلاثة اشياء . أولا كم هو خطر أن تكون الكنائس الخصوصية مستقلة فانه يجرى لها ما جرى لكنيسة افريقيا التى اعتمدت على رأيها الذاتي وسقطت فى الضلال بسبب رؤسائها . ثانياً ان المجامع الاقليمية ليست منزهة عن الغلط وكفانا شاهداً لذلك ضلال مجمع قرطاجنة الذى قال بعدم صحة عماد الاراتقة وأرذلته الكنيسة مع رئيسها البابا استفانوس . ثالثاً كم هو ضرورى عقد رباط الاتحاد مع الكرسى البطرسى فان القديس كبريانوس رغماً عن رأيه الفاسد لم يزل فى مراسلته يكرر وجوب انضمامه الى الكنيسة الرومانية وتمسكه بشركتها . فانه مانسى بل كان دائماً متذكراً « ان الكرسى الروماني هو الصخرة القائمة عليها الكنيسة وأم الكنائس » { رسالة ٥٥ } وانه « عن الكنيسة الرومانية تنشاء الوحدة الكهنوتية » (رسالة ٤٥) ثم كانت راسخة في ذهنه هذه المبادى الدينية التى سطرها في كتابه عن وحدة الكنيسة وهى : انه على بطرس وحده بنى الله كنيسته ومن يهجر الكرسى البطرسى باطلا يدعى انه في الكنيسة . » (وحدة الكنيسة ك ٢)

صوت القديس اثناسيوس والمجمع السرديكي

قد لاحظنا في هذه الشهادة التى نطق بها هذا الصوت اللذيذ ثلاثة وجوه { ١ }

خطاب اثناسيوس ومجمع الاسكندرية الى البابا مرقص {٢} خطاب يوليوس الى مجمع انطاكية الاريوسى {٣} قوانين سرديقيـة . فعن الاول أورد صاحب دليل المصريين عنوان خطاب من اثناسيوس وأساقفة مصر الى مرقص بابا رومة يدعونه فيه بهامة الكنيسة الجامعة الكاثوليكية وفى ختامه يسمون كنيسة رومة أم كل كنائس العالم ومعلمتهن . وعن خطاب يوليوس ومجمع سرديقية أورد بعض فقرات وقوانين ملخصها : ان كل عمل يأتيه أحد المجامع باطل مالم يصادق عليه الحبر الروماني وان من عهد قديم توجد شريعة كنائسية مقدسة بها الاساقفة لهم حق الاستئناف الى البابا .

فعن خطاب اثناسيوس الى القديس مرقص قال الدخيل : ان التاريخ لم يذكر لنا انها حصلت مخابرة بين اساقفة مصر ومرقص البابا . ـ ولكن عن اى تاريخ أراد التكلم ان كان عن تاريخ الانشقاق فسلم ولكن كان الاحسن به ان يستشير تآليف القديس اثناسيوس ففيها كان وجد هذا الخطاب الذي نحن في صدده ولكن الدخيل دون بحث وتنقيب ينكر كلما يجهل . ثم اضاف : ان المخابرة جرت بين اثناسيوس وليباريوس وفليكس اللذان كانا اريوسيين . فالاول جبر اول دفعة على امضـاء على قرار ايمـان الاريوسية ثم نفى ولما سئم من النفى قبل قرار مجمع الاريوسية ووقع باختياره عليه فاعيد الى كرسيه . والثاني كان اريوسـياً نصب بابا في مدة نفى ليباريوس . فعن هـذا نقول : انه ما جرت مراسلة بين اثناسيوس وبين ايباريوس وفليكس وليعلمنا في أي تاريخ قرأ هذا . ولكن ظن الدخيل انه بايراده خبر هذين الاسقفين يمكنه ان يقدح في حق البابا ويه . ولكن عن جهل وغباوة . فان أعظم المؤرخين ينكرون سـقوط ليباريوس فى الارتقة لا بل يتكلمون عن فضائله السـامية باندهاش . ماذا نقول ان الكنيسـة الشرقية تكرمه كقديس وتحتفل بعيده فى كل سنة .

فلنسمع المؤرخين كيف يتكلمون عن نفى البابا ليبـاريوس وعزمنا ان نأتي بالمؤرخين الشرقيين كى لا يحتج الدخيل قائلا ان فلان غربي ومن حزب البابا ويه .

قال سوزومانوس اليوناني الشرقي في تاريخه الكنائسي: ان البابا ليباريوس ليس فقط رفض الامضا على قرار الاراتقة وشجب أثناسيوس لا بل قال للملك الذي جعل له اجلا يومين يتذاكر فيهما ويراجع عقله: لا حاجة الى الفكرة فاني مصر ومصمم على ما انا فيه واني مستعد للذهاب الى النفي. وقال أيضاً للملك الذي ارسل له ذهباً: تكرم بهداياك الى اهل بلاطك اما نحن فيعتني بنا المسيح ولذا السبب خلع عن كرسيه وبعث به الى النفي. وفليكس كان دائماً متمسكا بايمان المجمع النيقاوي وكان بغير عيب في الاعتقاد انما عيبه الوحيد كان عدم امتناعه من شركة الاراتقة قبل شرطونيته ... ثم لما دخل الملك رومة أخذ الشعب الروماني بصياح متواتر يلتمس منه رجوع ليباريوس واعادته لهم (ك ٤ فصل ١١) ثم يقول: ان اودكس والاريوسيين نشروا في انطاكية اكاذيب قائلين ان ليباريوس رذل لفظة اوموسيوس (مساو في الجوهر) واعترف بان الابن لا يشابه الاب فبعد اشاعة هذه الاخبار أعاد الملك ليباريوس الى كرسيه». ثم أيضاً: ان ليباريوس رجل كامل في كل شيء وحباً بالايمان قاوم الملك. وان شعبه الروماني كان متعلقاً به شديداً حتى بسببه حصلت ثورة عظيمة بلغت الى القتل وسفك الدماء. ثم بعد زمن قليل مات فليكس الذي اقامه الملك. فدبر ليباريوس وحده الكنيسة وهذا أمر صار بعناية الهية حتى كرسي بطرس لا يمسه عيب ولا يجلس عليه رئيسان» (ك ٤ فصل ١٥)

وقال سقراط اليوناني الشرقي في تاريخه الكنائسي: ان ليباريوس الحبر الروماني لما ابى الامضاء على قرار الاريوسيين بعث الى النفي وأصحاب اورزاس الاريوسي شرطنوا فليكس الذي كان حينئذ شماس الكنيسة الرومانية وكثيرون يقولون انه ما اعتنق قط الارتقة الاريوسية. ثم نجا ليباريوس من النفي واعيد الى كرسيه وسبب ذلك: ان الشعب الروماني قد ثار علي فليكس وطرده من الكنيسة. فاعاد الملك اليهم ليباريوس «ولو رغماً عنه» (ك ٢ فصل ٣٧)

وقال ثاودوريتوس اليوناني الشرقي في تاريخه الكنائسي: «فلنذكر هنا حزم

ليباريوس الغير متزعزع وأقواله العجيبة التى نطق بها امام الملك مدافعة عن الدين والتى تسلمناها من أنام قديسين كانوا معاصرين هذه الحوادث . . . » ثم جاء المؤرخ بالمحاورة التى جرت بين البابا والملك وكان موضوعها عن اثناسيوس والمجمع النيقاوى واليك ختامها : قال البابا : تممت وعزمت مربي ماتشا . وقال لاحد رجال الملك الذى قدم اليه دراهم ليقضى بها حوائجه فى النفى : « قد سلبتم هيا كل العالم باسره وتريد ان تحسن علي كمجرم . دعنى وكن قبل كل شئ مسيحيا . ثم أخذ المؤرخ يتكلم عن نفيه ورجوعه فقال : « سار هذا البطل المظفر المدافع عن الايمان المستقيم سار الى تراكى محل نفيه كما صدرت الاوامر السلطانية بذلك . وبعد سنتين ذهب الملك قسطنسيوس الى رومة . حينئذ النسا الشريفات طلبن من أزواجهن ان يذهبوا الى الملك ويلتمسوا منه ان يرد الراعى لرعيته معلنات انه ان لم يفعلوا ذلك يخرجن من رومة ويقصدن هذا الراعى العظيم فاجاب الرجال . اننا نخشى غضب الملك ونعلم انه لا يصغى الى كلامنا ولكنه يسمع كلامكن فاذهبن اذاً فانه اما يستجيب طلبتكن واما يخلى سبيلكن . فعملن بالنصيحة ولبسن ثيابهن الفاخرة وقصدن بموكب حافل الملك وطلبن منه ان يشفق على المدينة التى فقدت راعيها . وصارت هدفاً لانياب الذئاب . فاجاب الملك . لاحاجة للمدينة الى راع اخر فان لها أسقفاً كفؤاً بان يقوم بتدبيرها وهذا كان فليكس أحد الشمامسة الذى شرطن بعد نفى ليباريوس العظيم وكان محافظاً على الايمان الذى وضعه اباء نيقية نقياً كاملا الا انه كان يشارك الاراتقة . ولهذا السبب ما دخل أحد الرومانيين في الكنيسة مادام فليكس فيها . فلما علم الملك بذلك رقّ قلبه واعاد من النفى ليباريوس هذا البطل المفضال الذى يحق له كل مجد واكرام . وأمر انهما يدبران معاً الكنيسة . فلما تليت رسالة الملك التى تأمر بذلك صرخ الشعب بصوت واحد . اله واحد مسيح واحد وأسقف واحد . وظننت (قول المؤرخ) انه فرض واجب عليّ ان اذكر كلامهم عينه. وبعد هذا التهلل المملوء تقوى وعبادة رجع ليباريوس العجيب الى كرسيه

وخرج فليكس من رومـة وقصد مدينـة اخرى . » وهذا الخبر نفسه ذكره المؤرخ الوثني اميان مرسلان فى كتاب ١٤ من تاريخه .

وقالت كنيسة الروم الشرقية : ان الطوباوى ليباريوس المدافع عن الحق كان أسقفاً على رومة فى أيام الملك قسطنسيوس وكان قلبه مضطرماً بغيرة الايمان الادثوذكسى ولذا دافع عن اثناسيوس الذى حاربه الاراتقة وطردوه من الاسكندريه لانه كان يذب عن الامانة بجراءة رسولية . مادام قسطان وقسطنسيوس على قيد الحياة كان الايمان القويم مؤيداً ثابتاً . ولكن لما استوثق قسطنسيوس وحده بالملك قد تغلب الاراتقة اذ كان هو نفسه اراتكياً . وحيث ان ليباريوس قرع بقوة تعاليمهم النفاقية نفى فى بايرا من أعمال ثراكى . ولكن الرومانيين لشدة تعلقهم به ذهبوا الى الملك وسألوه ان يعيده اليهم. فاجاب طلبتهم وأرسله الى رومة لهذا السبب وهناك قضى نحبه بعد ما دبر قطيعه بعناية مقدسة (سنكسار الروم : في ٢٧ آب عيد القديس ليباريوس)

أخيراً قالت الكنيسة القبطية الشرقية حين تحتفل بعيد القديس ليباريوس بابا رومـة الذى يعده الدخيل اريوسياً : « كان رجلا باراً قد ترهب من صغر سنه ونشا فى الرتب الكهنوتية فنجح فى كل منها وانتخب أخيراً للرتبة البطريركية . فلما جلس على الكرسى الرسولى سار السيرة المرضية له تعالى وكان مداوماً للتعليم ورادعاً من كان مخالفاً وزائغاً ... وعاند هذا القديس الاريوسية كثيراً وطردهم ونفاهم عن كرسيه (تأمل هذا ياراهب البراموس) . وسار السيرة التى ترضى المسيح وتنيح بسلام بعد ان أكمل رئاسته . صلواته تكون معنا امين . (السنكسار القبطى : ٩ من بابه عيد القديس ليباريوس)

فمن هذه الشهادات وغيرها التى ضربنا عنها صفحاً خشية ملل القارى ينتج :

أولا ان البابا ليباريوس قبل بعثه الى النفى ما امضى قرار مجمع الاريوسيين فى سيرميون لابل جاوب « كبطل شديد » رافضاً تمليقات الملك وهداياه ومحتقراً وعيده وانه سار الى النفى « بطلا مظفراً وعمود الامانة » ثانياً ان ليباريوس

لم يسقط فى الاريوسية حتى في اثناء نفيه بل كان دائماً « البطل المظفر ليباريوس العجيب والراعى العظيم الذى يحق له كل مجد واكرام » ثالثاً انه حال نفيه نشرت الارائقة فى انطاكية أكاذيب قائلين ان ليباريوس قد أبطل تعليم نيقية وذلك ليقلقوا الكنائس علماً منهم بانه رئيس الكنيسة العام « وبواسطته (كما يقول الاب اثناسيوس) يمكنهم اجتذاب الجميع الى مذهبهم ». وهذا ما يفسر لنا كيف اثناسيوس العظيم أمكنه ان يكتب فى رسالته الى المتوحدين بان ليباريوس جبر على امضاء قرار الاريوسيين فانه ساعتئذ كان منفياً ولم يسعه ان يبحث فى هذا الامر بنفسه بل هذا الخبر أتاه بالسمع كما يشهد هو بذلك في كتابه الى المتوحدين فاخبر كما سمع . ولكن هذه الاقاويل التى اذاعتها الارائقة كانت مرمات الاخبار وأحاديث كاذبة كما تعلمون ويؤيده التاريخ وتعليم الكنائس . ثم ان القديس اثناسيوس لم يقل ان البابا ليباريوس سقط فى الاريوسية كما زعم الدخيل ولكن « ان ليباريوس جبر على الامضاء وان بغضته للارئقة تدل على انه فعل ذلك اكراهاً واجباراً لاطائعاً مختاراً » ولما تأكدت الاخبار وعلمت الكنيسة القبطية ان ليباريوس لم يزل حتى فى ضنك الحبس وضيق النفى ثابتاً علي ايمان بطريركها اثناسيوس وانه حامى عن القانون النيقاوى أجل المحاماة . رفعته على هياكلها وكل سنة تحتفل بعيده الى يومنا هذا . ولكن اقوال الكنيسة القبطية لا معول عليها عند الدخيل . انما نعجب كون هذه الكنيسة تقول أكاذيب مدافعة عن الكنيسة الرومانية وقد انفصلت منها من سنين عديدة . ولسنا نعلم اذا كانت تفعل هذا لانها ما نسيت ولم تزل تتذكر انه من مدينة رومة اتي اليها مرقص رسولها « وبنى كنيستها على الصخرة البطرسية » . ثم نستنتج (٤) ان القديس العظيم ليباريوس ما رجع الى كرسيه اراتكياً منكسراً بل ارتوذكسياً مظفراً وما اعيد الى سدته لانه عمل برغبة الملك بل « رغماً عنه وعن الاريوسيين » كما يشهد بذلك سقراط . (٥) ان فليكس لم يكن بابا ابداً . لانه اقيم اسقفاً على كرسى رومة فى حيوة حبرها الحقيقى . وقدم من

الاريوسيين لا من الرومانيين اتى بطريقـة غير قانونيـة . ولان الشعب الروماني لم يقبـله ابداً ولم يشاء احد منهم الدخول الى الكنيسـة مادام فليكس فيها . ولم يزل يلتمس رجوع اسقفه الحقيـقي ظاناً نفسـه قطعياً يتيم الراعى .
(٦) انه لما رجع ليباريوس من النفى بطلا مظفراً ورغمـاً عن الملك والاريوسيـين . لم يدبر فليلكس الكنيسة معه بل صرخ الشعب قائلا . ان له الهـاً واحداً ومسيحاً واحداً واسقفاً واحداً . وطرد فليكس من رومة . وحيث ان الملك كان يحب ان هذا الراعى الدخيل يسوس الكنيسة ضرب الله فليكس بالموت . وهذا كما يقول سوزومانس المؤرخ اليونانى الشرقى « تدبير الهى لئلا يمس الكرسى البطرسى عيب ويجلس عليـه رئيسـان » . (٧) ان فليكس ما كان اريوسـيا بل مع حفظـه ايمـان نيقيـة كان فقط يشارك الاراتقـة .
(٨) وأخيراً ان فى الدخيل وقائده صاحب تاريخ الانشقاق يتم المثل القائل . اعمى قاد اعمى فوقع الاثنـان فى حفرة . ثم انهما هجرا تعليم كنيسـتهما محتجين انهما متمسكان بالعلم ولـكن كما رأي القاريء لا علم لهما ولا ايمـان كنيستهما .
لننتقل الآن الى امتحان البرهان الذى اتخذه صاحب دليل المصريين من الحوادث التى جرت بين البابا يوليوس والأب اثناسيوس اثباتاً لرئاسة الحبر الروماني على كل الاساقفة والبطاركة وما كان من أقوال البراموسى رداً عليه . ــ قال صاحب دليل المصريين . انه في أثناء القلاقل التى سببتها بدعة اريوس انعقد مجمع أراتيكى في انطاكية خلع الأب اثناسيوس من سدته البطريركية . فلما انتهى هذا الامر الى البابا يوليوس حزن وبعث الى الانطاكيين برسالة يقول فيها . « اتجهلون العادة المرعيـة انه اذا طرأ حادث ما يحرر لنا أولا ثم ينتظر حكمنا قبل اجراء كل عمل . » وشهد بوجود هذا القانون الكنائسى مؤرخا هذا العصر سقراط وسوزومانس اليونانيان الشرقيان . ــ اليك الان ما كان من رد الدخيل . من المعـلوم ان خطاب البابا يوليوس ليس أمراً بل نصيحة ومحبة . وانه حين قال فيـه . انه لواجب ان يحرر لنا أولا وينتظر حكمنا قبل اجراء كل عمل . » لا يعنى عن نفسه بل عن

المجمع الذي كان يرأسه . ثم ان الانطاكيين لما شعروا ان استدعاءه اياهم يفهم منه رئاسة ونحوه وعاتبوه فقبل ذلك واحتج لهم عن نفسه بان هذه الكتابة من المجمع لا منه وحده . فتجيب أننا استغربنا وأي استغراب كون الدخيل يزعم بان خطاب يوليوس ليس أمراً بل نصيحة ومحبة . لعمرى ان البابا يوليوس كان يودّ ان يردّ الانطاكيين عما كانوا عليه من سوء التصرف ونقض القوانين ولذا بعث اليهم بادئ بدء برسالة مملوءة محبة ولكنها ما أتت بفائدة . فانهم ما أذعنوا لاوامره بل كتبوا اليه خطابا سفيها كعادة الاراتقة علم منه انهم مصرين على ضلالهم فلامهم لوما عنيفا واعلن لهم بانه « لو حصلت خطيئة من البطاركة لوجب الحكم أن يكون حسب القوانين لا على هذه الصورة (أعنى كما فعلتم) أعنى يوجب أن يكتب لنا جميعاً فلماذا اذاً لم تكتبوا لنا قبل كل شئ بما يخص كنيسة الاسكندرية أو تجهلون انها كانت عادة ان يكتب لنا أولا (بروتون) ثم من هنا (كاي اوتوس انثين .) يعطى تحديد الحقائق . وعليه اذا حدثت شكوى على اسقف هناك (تون اكى) أعنى على أسقف الاسكندرية . وجب أن تعرض الى كنيسة هذا الطرف أعنى الكنيسة الرومانية (تين انتوتا اكليسيان) اننا أتينا بالنص اليوناني حتى يرى الدخيل الماهر بهذه اللغة باي صفة حرف قول البابا . ثم يقول البابا ان هذه القوانين تسلمها من بطرس الرسول وانها معروفة عندهم الا انه كتب لهم لان عملهم لا يطابق علمهم . فكيف اذاً تجاسر البراموسى مع معرفته بهذه الرسالة أن يقول . ان الكتابة الى رومة وانتظار حكمها نصيحة في وسعنا العمل بها ام لا . كيف امكنه أن يقول ما قال وقد سمع انها أمر واجب . وقانون تسلمته الكنيسة من الرسل وانه معروف عند الانطاكيين الا انهم أحب عندهم أن يخالفوه من ان يسيروا بمقتضاه .

ثم ماذا يفيد الدخيل ومن نقله اذا كان هذا الخطاب ارسل باسم البابا أم باسم المجمع الروماني . فانه ان قيل هذا أم ذاك ففى الحالين نرى سلطة الحبر الروماني على كل الكنائس وانه لا يستطاع شرعياً تنفيذ عمل ما مهم فى أمر الدين دون

تصديقه عليه . فان الدخيل ما نسى ان مجمع رومية الذي ترأسه البابا يوليوس حكم في شأن بطاركة المشرق والنى مجمعاً شرقياً . ولكن هل يحلّ لمجمع مكاني غربي ان ينظر فى مسائل الشرق ويحرم رؤساء كنيسته ويزكى البعض منهم . لا لعمرى ومع ذلك لا يخفى على الارثوذكسيين أجمعين بان ماعمله المجمع المكاني الروماني فعلى حسب القوانين الكنائسية عمله ويقول ذلك صريحاً ثوادوريتوس المؤرخ اليوناني الشرقى . ان البابا يوليوس تابعاً قانون الكنيسة زكى اثناسيوس وعاتب الانطاكيين (ك ٢ فصل ٤) فاذاً ما هذا الانقلاب . قرّ برئاسة الحبر الروماني وكل الامور تنجلى واضحة تجاه بصيرتك .

أما قوله بان البابا قبل توبيخ الانطاكيين فمنقوض من كل منطوق الرسالة فاننا نسمعه من افتتاحها يلوم سفاهتهم وخشونة كلامهم قائلا . ان الذى املاها رجل غبى أراد أن يظهر فصاحته في التحبير ولكن في الامور الكنائسية لا يعول على ذلاقة اللسان بل على القوانين الكنائسية . » ثم أخذ يدحض رسالتهم التى ذكروا فيها ان حكمهم نهائي وليس للبابا حق أن يقبل اثناسيوس المحكوم عليه من مجمعهم قائلا : ان مجمع نيقيه العظيم بتدبير الهى قرر بان أعمال مجمع سابق تفحص في مجمع آخر فاذا كانت هذه العادة مرعية من عهد قديم ووضعها بالكتابة مجمع نيقية فما بالكم لم تسلكوا بموجبها بل ابتغاء عدم تنفيذها عليكم سوأ تصرفتم لان هذه العادة ثابتة في الكنيسة وقررها المجمع النيقاوى . فليس اذاً من العدالة أن يبطلها القليل . » ثم أضاف : من منا يرمى الخصام انحن وقد عملنا كل شئ حسب القانون والعدل (ذيكاوس كاى كانونيكوس) أم أنتم وقد نقضتم قانون الاباء وسخرتم بمجمع نيقية . فلا يحق لكم اذاً أن تقاومونا بل كان الاولى والاشبه بكم أن تبذلوا جهدكم في اصلاح ما اجريتموه ضد القانون . » وباقى الرسالة موضوع على هذا النسق اعنى كلها توبيخ وتقريع كما رأيتم وشهد بذلك المؤرخان سوزومانس وسقراط قائلين . ان البابا يوليوس لام الانطاكيين لوماً عنيفاً فاين اذاً رأى الدخيل ان يوليوس قبل تأنيبهم واعتذر اليهم وفى كل خطابه

الذي أجاب به على رسالتهم يقول لهم ان كل اجرآته مبنية على القوانين الكنائسية ولا يظن القارئ ان البابا بكلامه أراد اختلاس حقوق ليست له وانه تعدى طوره وتجاوز حدود سلطته . فان المؤرخين تاودوربتوس وسوزومانس وسقراط الشرقيين يشهدون له انه تبع في كل عمله القوانين الكنائسية وانه استعمل السلطه المقررة له من ابتداء النصرانية .

أخيراً أجاب الدخيل : ان القوانين التى اتى بها صاحب دليل المصريين من مجمع سرديقى تنطق بالحقيقة بوجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا ولكن هذا السلطان قد منح سأعتئذ للبابا ولم يكن له اثر قبلا بل مبتكر بفم اوسيوس اسقف اسبانيا معروض على استحسان الاساقفة . ولو كان لهذا السلطان أثر في الكنيسة اما كان يقول المجمع على القليل : اننا نحفظ ما وصل الينا ونسن ما تسلمنا ثم لان اوسيوس لم يقل عند ذكر اسم يوليوس سيدنا ولا رئيسنا . ثانياً ان هذا الحق منح ليوليوس وحده . ثالثاً منح له بالنسبة للغرب فقط لان مجمع سرديقى انما كان مكانياً وليس تلزم الكنيسة كلها الا القوانين التى تسنها المجامع المسكونية . (وجه ٣٢ – ٣٣) . – فنقول ان البراموسى حين ما نطق بهذا الكلام اعنى ان حق الاستئناف الى البابا ما كان له اثر قبل يوليوس ما تذكر ان التاريخ واضح في هذه المسألة . ونسى انه من عهد قديم في غرة النصرانية توجد شريعة كنائسية تنص : « ان كل عمل يأتيه احد المجامع فهو باطل وليس له قوة التنفيذ ما لم يصادق عليه الحبر الرومانى ويثبته بسلطانه . » وقد شهد بذلك بعد عدد وافر من الباباوات اعظم واشهر مؤرخى الاعصار الاولى . من يجهل اسم سقراط وسوزومانس اللذين بعد ما اعلنا هذه السنة اتيا باخبار حدثت قبل التئام المجمع السرديقى تؤيد فعلا هذا القانون الكنائسى . اليك ما قاله الشهير سقراط في تاريخه الكنائسى : « ان اثناسيوس اسقف الاسكندرية ... وبولس اسقف القسطنطنية واسكلباس اسقف غازا ومركلوس اسقف انفرا ولوسيوس اسقف ادريانبوليس قد قام عليهم الاعداء وطردوهم من كنائسهم . فقد

قصدوا رومة المدينة العظمى وكل منهم قص امره على الحبر الروماني الذى حسب سلطته السامية (برونوميا) عضدهم برسائل منه وارسلهم في الشرق راداً لكل منهم كرسيه ومعاتباً شديداً الذين خلوهم من سدتهم . فسافر هؤلاء الاساقفة من رومة واسترجعوا كراسيهم معتمدين على حكم البابا . » (ك ٢ فصل ١٥) وما قاله سوزومانوس ليس باقل صراحة : » ان الحبر الروماني من حيث امتياز كرسيه يخصه تدبير امر الاساقفة اجمعين رد لكل منهم كرسيه (ك ٤ فصل ٨) فماذا نستنتج من هذه الاخبار المقررة والمعروفة من الجميع : امرين في غاية الاهمية احدهما وجوب استئناف الاحكام التى تصدر ليس فقط ضد الاساقفة بل أيضا ضد البطاركة الى البابا . والاخر ان هذا السلطان ما منح للبابا مكافأة بل هو امتياز لكرسيه وهذا الامر اعلنه المجمع السرديقى بقوله في القوانين التى تشتمل على وجوب استئناف الاحكام الى البابا : فلنكرم ذكر القديس بطرس . وفي رسالته السينودسية . من الصواب ان يحيل اساقفة الاقاليم كلها امورهم الى رئيسهم اى الى كرسى بطرس الرسول . » سانداً ما سنه من القوانين ليس على مكافأة او على امتياز مدني كما ادعى الدخيل بل على ان البابا هو صاحب كرسى بطرس ورأس كل الاقاليم كما نادى بذلك سوزمانس واعلن ان الحبر الروماني من حيث امتياز كرسيه يتعلق به امر الاساقفة اجمعين . افهمت يا براموسى . ولكن اسمعه يقول . ان شهادة سوزومانس لا يعول عليها . لماذا يا دخيل . لان هذ المؤرخ قد غلط في تاريخه فانه بدلا من ان يذكر سلبستروس ذكر يوليوس . ــ يا للعجب اما رأى الدخيل ان قوله هذا حشو وهذيان وان الغلط في امور زهيدة كذكر الاسماء التى يمكن ان تنسب الى الناسخ ليست حجة على المؤرخ ذاته ودليلا كافياً لرفض كل أقواله . ولا سيما المسألة التى نحن فى شأنها . فان المؤرخ اليوناني يقول . ان وجوب اشتئناف الاحكام الى البابا سنة كنائسية مقررة فى كل الاجيال ومعروفة عند الجميع . هل كان لرجل يونانى من الشرق ان ينطق بهذا الامر لولا علمه اليقين به فانه بلا ريب ما قال

هذا ليرفع منزلة كرسى رومـة ويخفض من حال كنائس الشرق كنائسـه . ثم ما الرأى رأيك في سقراط فانه اتانا بذكر الاخبـار والقوانين التى أوردها سوزومانس . هل غلط هو أيضاً في التاريخ أو ذكر اسم بلدة بدلا من أخرى لابطال شهادته هـذا ما تتمناه ولكن لايعود اليـك بفائدة كما رأيت اما قولك بانه لو كان لسلطان البابا على الاساقفة أثرفي الكنيسة لما كان أعرض على استحسان الجميع يشهد عليك بانك قلما اطلعت عـلى صـورة القوانين الكنائسـية فان كثيراً من الاحكام الاعتقاديه تبتدى على هذا النحو من الصواب ان نقول . أو : استحسـنا ان نقرر . وان كنت في ريب من كلامنا دونك و ال ٢٧ قانونا التى تحددت في مجمع أفريقيا بخصوص مسألة النعمة والتبرير فنى ابتداء كل منها نرى . استحسنا ان . اما كان أثرلهذه القضايا الدينية في الكنيسة قبل تحديدها من هذا المجمع . كان بلاشك فكيف اذاً استطاع الاباء ان يقولوا . استصوبنا أو استحسنا . اعلم ان هـذه اللفظة راجعة ليس لنفس الحقائق التى تحـددت ولكن لصورة الكلام التى بها تحررت . قرّ اذاً بان هذه القوانين المشـتملة على وجوب اسـتئناف الاحكام الى البابا كانت فى الكنيسة من غرة النصرانيـة ولكنى اسـمعك تقول انها لاتسرى الا على الغرب فان المجمع السرديقى غربي مكانى ولا يمكنه ان يسـن الا مـا يتعلق بسـياسة ابرشـيته .ولكن اتجهل يا علامـة البراموس بان مجمع سرديـقى نظر في قضـايا كل بطـاركة الشرق وحكم فيها فشـجب منهم وحرم كقولك اسطفانوس بطريرك انطاكية ومنوفانت مـتروبوليت افسس واكاكيوس متروبوليت قيصريه فلسطين وجرجس أسـقف اللاذقية وغـيرهم ومنهم من زكى وبرأونخص بالذكر اثناسيوس العظيم صاحب كرسى الاسـكندرية ومركاوس أسقف انغرا واسكلباس اسقف غازاً . ثم انه الغى احـكام المجمع الشرقى الانطاكى . ولكن اذاكان مجمع سرديـقى اقليمياً كما زعم الدخيـل هل كان يجوز له ان يتعـدى طوره وينظر في مسائل لاتتعلق بابرشيته ويحكم فيها وتصادق على حكمه كل كنائس الشرق . ثم

اذا كان هذا المجمع مكانياً لست افهم لماذا جلس فيه اساقفة من كل الاقاليم . من رومة واسبانيا وغاليا وايطاليا وأفريقية وبانونيا وأسيا ونوريكا وداكيا وتسكيا ودكيا الثانية وماكدونيا وبيرا وأخيا وتراكى وفلسطين وبلاد المغرب ومصر . كما نرى في عنوان الكتاب السندوسى المبعوث الى البابا والى كل الكنائس وأمضى على احكامه أساقفة كل هذه البلاد اعنى من الشرق والغرب وخاصة بطريرك الاسكندريه و ٩٠ أسقفاً مصرياً ذكر اسمهم الاب اثناسيوس فى كتاب تزكيته . وهذا دليل جليّ على مسكونية هذا المجمع وان قوانينه تسرى أيضاً على أهل الشرق . كيف لا وداعى انعقاد هذا المجمع كانت مسائل متعلقة بالشرق لاغير . والاحكام التى صدرت فيه كانت بخصوص بطاركة الكراسى الشرقية كما رأيتم . أخيراً المجمع بذاته يشهد لذاته انه كان مسكونياً فانه في الرسالة السنودسية المبعوثة الى البابا يوليوس والممضى عليها من اساقفة الشرق والغرب نقرأ ما يأتي . « انه من عين الصواب ان اساقفة الاقاليم كلها يحيلون أمورهم الى رئيسهم اعنى الى كرسى بطرس . » اكرم بها شهادة صريحة وبينة ناطقة بان البابا هو رأس اساقفة كل الاقاليم شرقاً وغرباً وحيث انه رأسهم سبيلهم ان يحيلوا اليه كل أمورهم ويطلعوه على حوادث بلادهم .

بعد ذلك أخذنا العجب من راهب البراموس الذى اثبت الدعواه اعنى استقلال كراسى الشرق قال . ان مجامع كثيرة عقدت ضد ارادة البابا كقولك مجمع انطاكية الذى صار دون اعلان يوليوس وقبلت قوانينه المجامع المسكونية . — ولم يدر الدخيل ان هذا المجمع اريوسى قال ببطلانه سقراط واعلن هذا المؤرخ ان احكامه لاغية لان البابا لم يحضره ولا نوابه حضروه (ك ٦ فصل ١٦) ثم يوحنا فم الذهب لما حكم عليه من اعدائه وقيل له انه محروم ولايمكنه الاستئناف حسب القانون ال ١٢ الذي وضعه المجمع الانطاكى أجاب : بان هذا المجمع باطل وقد ألغى أحكامه المجمع السرديقى

(سقراط : ك ٦ فصل ٦) . فلا عجب اذاً ان كان مجمع اريوسى باطل وزور قد التئم بدون استئذان البابا . ولكن العجب من علامة البراموس الذي يتخذ اجرآت الاراتقة برهانا لتأييد دعواه . بلا ريب ان هذه الطريقة تؤدى الى غرضه المطلوب فان الباطل لايؤيده الا الضلال انما كان سبيله ان يتذكر ان هذا المجمع الانطاكي قد حرم اثناسيوس العظيم وسن هذا القانون ال ١٢ ضده . وعليه اذا قر الدخيل بقانونية هذا المجمع لابد أن يقول بان اثناسيوس قد حكم عليه حسب القانون وان المجمع السرديقى الذى أبطل هذا الحكم سوءاً تصرف . أما يعلم ان هذا التعليم يمس شرف اثناسيوس فخر الديار المصرية . فلقد صدق من قال فيه انه أضر بالملة القبطية فانه بسوء رأيه جعل أعظم ابائنا محرومين من الكنيسة . — ثم قال ان المجامع المسكونية قبلت قوانين هذا المجمع الانطاكي وما أتانا ببرهان اثباتاً لكلامه . فالتزمنا ان نبحث فما وجدنا أثرا لهذه القوانين الا في المجمع الخلكيدوني الذى لايذكر الا اربعة منها ولا ينسبها لهذا المجمع الانطاكي فانها توجد بالحرف الواحد في قوانين الرسل . — أخيراً جاء ببعض وقائع قال انها تنفى سلطة البابا وهى : لما حكم المجمع النيقاوى على اريوس وطلب من الملك نفيه لم ينتظر لتنفيذ ذلك أمر البابا . (٢) لما رجع اريوس رجع بامر الملك لا بامر البابا . (٣) ولما رفض اثناسيوس قبول اريوس لم يستأذن البابا . — فعن هذه نقول . ان المجمع النيقاوى لما حكم على اريوس حكم بسلطان البابا اذ رئيس المجمع أعنى اوسيوس أسقف قردوبا وقسان رومانيان كانوا نواب البابا كما يشهد بذلك جيلاسيوس المؤرخ والمجمع نفسه فان هؤلاء الثلثة امضوا قبل كل البطاركة . ثم لما رجع الملك اريوس من النفى قد خالف بصنيعه هذا ليس فقط أمر البابا ولكن أيضاً أمر المجمع نفسه فانكر اذاً يادخيل سلطان المجامع على الكنيسة . وأما اثناسيوس لما رفض قبول اريوس فما ذلك الا لان هذا الاراتيكي كان محروماً من المجمع الذى ترأسه نائب البابا . أخيراً أردفت . لما اجتمع مجمع فى انطاكية

وعزل اثناسيوس لم يطلب تثبيت عزله من البابا . ولكن ياعلامة البراموس هذا المجمع كان اريوسيا ولذا قبل البابا يوليوس فى شركته اثناسيوس العظيم رغماً عن حكم هذا المجمع وأرسل خطاباً للانطاكيين يوبخهم فيه توبيخاً عنيفاً وألغى كل اجرآتهم الخارجة عن حدود العدالة والمتعدية القوانين الكنائسية وصادقت الكنيسة كلها على تصرف البابا في هذه المسألة ورفضت أحكام هذا المجمع الاراتيكي فمالك تمسك بها وقد حرمت ابانا العظيم اثناسيوس بطل الايمان ونصيره وتعتمد عليها لاثبات دعواك وهى مرذوله اراتيكية

صوت القديس باسيليوس والقديس غريغوريوس

قال صاحب دليل المصريين . ان القديس باسيليوس لما رأى احوال الشرق فى تأخر وتقهقر ولا يمكن التئام مجمع مسكوني لاصلاحها بعث الى البابا دماسيوس برسالة يرجوه فيها ان يستعمل سلطانه وينتخب رجالا ليرسلهم الى المشرق فينظروا في شؤونه ويردوا الى الحق الاساقفة الشرقيين الذين ساروا سيرة معوجه . والقديس باسيليوس يشهد على نفسه في رسالة كتبها الى الاب اثناسيوس ان هذا كان فحوى خطابه الى البابا . فمن هنا يتضح جلياً ان البابا له سلطان على الكنائس الشرقية وانه المدبر لشؤونها وبالتالى سبيل هذه الكنائس ان تخضع لسلطانه وتنقاد لاوامره . فما أجاب الدخيل عن هذه الشهادة الناطقة صريحاً برئاسة البابا ليس فقط على الغرب ولكن ايضاً على الشرق ؟ قال ان القديس باسيليوس لما رأى ابطا البابا فى الرد نسب اليه التصلف والتشامخ . — وماذا ينتج من هذا أيظن علامة البراموس ان الكبر في الطبع ينفى الرئاسة . اما يعلم ان كثيراً مانرى رؤساء يركضون خلف الفخر ويتباهون بجليل قدرهم وعظيم خطرهم ايكفينا هذا لنسلب منهم الرئاسة ولا نمتثل لوصاياهم . وعليه يمكننا القول بان البراموسى ما اجاب عن شهادة القديس باسيليوس وان صاحب دليل المصريين فى انتظار الرد .

اليك الآن بديع ما نطق به القديس غريغوريوس . « ان الطبيعة ما اتحفتنا بقمرين ولكنها أعطتنا رومتين احداهما يضئ نورها فى المشرق والاخرى ترمى باشعتها الباهرة فى المغرب فهما درتان متضاهيتان بهاء كأنهما كوكبان تلألؤاً وحسناً . وأما حظهما فى الايمان فليس كذلك فان ايمان رومة القديمة كان دائما بغير عيب وفساد ولن يزل فى نهاية النقاوة والضياء . فلها وحدها أن تجمع في وحدانية الايمان ومنهج الخلاص الكنائس المتزعزعة الاركان والمفتقرة الى الثبات لانها قابضة بيدها ازمة سلطان العالم . وأما رومة الجديدة فهى بخلاف ذلك أم الاضاليل ومنبع الشقاق . » هذه هى الشهادة التى أتى بها دليل المصريين واتخذ منها دليلا على ان كرسى رومة له الرئاسة على باقى الكنائس . لان لرومة وحدها أن تجمع في وحدانية الايمان كل الكنائس المتزعزعة ولا يخفى على أهل العلم ان الذي في الهيئة الاجتماعية يضم الجمهور في الوحدة هو بلا شك الرئيس العام . فضلا عن ان القديس غريغوريوس افصح هو عينه عن هذا السبب قائلا : ان لرومة ان تجمع الكنائس في الوحدة لانها قابضة في يدها أزمة سلطان العالم . ولا يظن الدخيل ان غريغوريوس يريد بكلامه هذا السلطان المدني وقد انتقل هذا السلطان الى القسطنطنية الامر الذي مامنعها أن تكون ام الاضاليل ومصدر كل الشقاق . فمن هذه الشهادة الصريحة الناطق بها رئيس اساقفة رومية الجديدة ما أفادنا الدخيل بشئ وعليه نلتمس منه أيضا الرد . بل أتانا ببعض نقرات قالها غريغوريوس في مديح بعض أساقفة ولسنا نعلم كيف تنفى رئاسة الحبر الرومانى ولكنه ربما ظن انه توجد نسبة بين هذه العبارات وبين التى قيلت عن مدينة البابوات . فسأظنه فان بين هذه وتلك بوناً عظيما . قد سمعتم ما نطق به غريغوريوس عن رومة فاسمعوا الان ماقاله تعظيما في ابطال الدين اثناسيوس وباسيليوس وغيرهم . قال عن أثناسيوس انه أئتمن على رئاسة الشعب وأخذ الكهنوت ليكون معيناً وحيوة للبيعة وعمادها وعن باسيليوس انه مصباح الكنيسة البهى وصار لقوم سوراً حصينا ولآخرين حساما قاطعا وناراً فى

شوك وان نغمته سارت الى جميع الارض وقوة كلامه الى أقطار المسكونة الخ . — فهل ينتج من هذا الكلام رئاسة باسليوس واثناسيوس على كل الكنيسة وكل رؤسائها كما استنتجنا هذا الامر من الالقاب التى نسبت لرومة . كلا بل هذا الكلام يدل فقط على ان الله بتدبير لا يدرك منح الكهنوت لاثناسيوس ليحيي بيعة الله بمدافعته عن الايمان الذى هو حيوة الكنيسة . وعلى ان باسيليوس بتعليمه وتآليفه البديعة أنار البيعة وبمحاربته الهراتقة صار لهم سيفاً قاطعاً وناراً في شوك . ايجهل ان هذه الاقوال يمكننا ان ننسبها لكل محام عن الدين . ولكن انستطيع القول بان اسقف انطاكية مثلا له وحده ان يضم فى الوحدة كل الكنائس المتزعزعة . لا لعمرى لانه ليس قابضا في يده زمام السلطان الروحى على العالم المسيحى باسره . وزيادة عن ذلك ما نسب غريغوريوس هذا السلطان وهذه الامتيازات لهذا البابا او لذاك ولكن للكرسى الروماني . فمن هذه الملاحظات يبان جلياً ان الدخيل قلما تمعن في هذا البرهان وانه ما ردّ عليه أبداً . ومع ذلك ظن انه نطق بديعاً وخرج من مضمار الجدال مكللا بالظفر فانه بعدما أتانا بهذه الفقرات التى لا تمس نتائج صاحب دليل المصريين ولا تضعف قوتها صرخ قائلا : لو وجد التابع هذه الاقوال في حق باباه . أليس كان يملأ الهواء كلاما والمسكونة اصواتاً وضجيجاً ويشوش العالم بالصراخ والصخب . » وكان الاولى به أن يخبرنا كيف هذه الشهادات التى ملأ بها صحائف تماثل التى أتى بها صاحب دليل المصريين وتسقط دعواه فان الحقائق تبنى بالبرهان لا بالصراخ وثرثرة اللسان .

صوت القديس ايرونيموس

قال هذا العلامة الجليل فى خطابه الى البابا دماسوس يستنجده على محاربة الاراتقة: واما انا ابتغاء اتباع آثار المسيح والسلوك في منهج الخلاص فاني في شركة مع

طوباويتكم أعنى مع كرسى بطرس الرسول واعترف ان الكنيسة قد شيدت على هذه الصخرة. فكل من ادعى واكل الحمل خارجاً عنها فهو نجس ومن لم يكن في سفينة نوح فهو هالك وكل من لا يجمع معك يفرق أعنى هو مع الجدال. فالكنيسة قد انقسمت الى ثلاثة احزاب وكل منها يفرغ جهده ليضمني اليه. اما انا فاناديهم صارخاً فيهم : من منكم مع كرسى بطرس فانا معه. » وهاك نتيجة صاحب دليل المصريين من هذه الشهادة حيث ان من يأكل الحمل السماوي خارجاً عن كرسى بطرس يصير نجساً. حيث ان من لا يجمع مع البابا يفرق ويتجند للدجال . حيث من لا يكون فى سفينة نوح يغرق في امواج الضلال . ينبغى اذاً لكل مسيحى ان يكون في هذه السفينة اى فى شركة الكرسى البطرسى لئلا تلحق به هذه المصائب الوبيلة . اعجب بها شهادة جلية مزقت وجه الضلال واعلنت ان كرسى بطرس هو السفينة التى من ركبها ينجو من الاهوال . — ولكن اسمع الدخيل يقول ان هذه الشهادة لا يعول عليها ولا يرجع اليها . لماذا . لان الذى نطق بها فضلا عن كونه غربياً وترشح للباباوية بعد موت دماسوس ما قال ان كرسى بطرس هو صخرة الكنيسة فانه اورد الفاظ المسيح عينها . ثم ان هذه الشهادة مغيرة فانه مذكور فى اللاتينيه المسيح بدل بطرس . — يا للعجب . ما هذا الرد . ايظن الدخيل ان ايرونيموس بمجرد كونه من الغرب ينطق اجلالا للبابا بامور مخلة بالدين . الا يعلم ان هذا القديس من ابطال الكنيسة فما له ينسب اليه مثل هذه الافكار الدنية . ثم اذا كان ترشح للباباويه فما ذلك الا بعد ممات دماسوس ورسالته التى اعلن فيها ضروورة التمسك بالكرسى الرومانى كتبها فى حيوة هذا البابا اعنى لما كان زاهداً فى الدنيا وبلغ فى التخلى عنها مبلغاً عظيما واعتزل عن الخلق ولزم مغارة بيت لحم ليس شاغلا فكره الا بالهذيذ والصلوة . هل كان هذا البار الفاضل حينئذ يهتم فى الحصول على المناصب العالية ويمدح فى كرسى بطرس الذى ربما كان يمكنه الجلوس عليه فان كان هذا الرد رده فياليته ما جاء به فانه لا يليق به وخاصة بالقديس الذى نسب اليه مثل هذه الاغراض الحضيضية .

فاما قوله بان فى الاصل مذكور اسم المسيح بدل بطرس فمردود من ذات النص الذى هو : اني في شركة مع طوباويتكم اعنى مع كرسى بطرس . فاذا حذفنا اسم بطرس ووضعنا بدلا منه اسم المسيح جاءت عبارة فاسدة وهى . اني فى شركة مع طوباويتكم اعنى مع كرسى المسيح ، فان المسيح ما كان له كرسى وما نصبت الكراسى وتحددت الا بعد صعوده الى السماء . ثم النص الاصلي فى يدنا فانه يقول صريحاً كرسى بطرس الرسول ، أخيراً ماذا يجيب الدخيل عن هذه الاقوال :من لا يجمع مع البابا يفرق ويصير مع الجدال ومن يأكل الحمل السماوى خارجاً من شركته فهو نجس . اليست هذه الفاظ صريحة وادلة ناطقة بوجوب الاتحاد مع الكرسى البطرسى . فان كان له عنها جواب فليفدنا به فاننا فى انتظار .

أخيراً قال ان ايرونيموس اراد مساواة الاساقفة بقوله فى رسالته التى بعث بها الى افاغروس : لا يجب ان نعتبر رومة سوى كنيسة من كنائس العالم فانه حيث يكون اسقف سوا كان فى رومة أو فى اغوبيون أو في القسطنطنية أو في اسكندرية له القدر عينه والكهنوت نفسه لانهم جميعاً خلفاء الرسل . — فنقول ان ايرونيموس كتب الى افاغروس عن الذين كانوا يحتقرون الاساقفة ولا يريدون ان يتمسكوا الا باسقف رومة من حيث انه رأس كل الكنائس . ولذا اعلن لهم بان رومة ولو ام الكنائس ومبدأ الوحدة مع ذلك ليست الا كنيسة من كنائس العالم فانه توجد كنائس وكراسى غيرها . وهذا هو عين اعتقادنا. اما هذه العبارة ان الاساقفة لهم القدر عينه والكهنوت نفسه وانهم خلفاء الرسل فلا نرى كيف تنفى رئاسة البابا . فاننا نقر مع كل علما الكنيسة ان كل الاساقفة متساوون في الرتبة الكهنوتية والاسقفية الا انهم يمتازون فيما بينهم بالنسبة للسلطان الكنائسى . وهنا لا يتكلم ايرونيموس الا عن المنصب الكهنوتي . اما قول الدخيل بان ايرونيموس علم بان الصخرة هى المسيح ليس بطرس فليس هنا محله فان الكلام هنا ليس عن بطرس بل عن خليفته . فسبيل القارئ اذاً ان يراجع

باب بطرس فيرى الرد عن هذه المسألة وجه ١٥

صوت القديس اغسطينوس

لما حكمت رومة على ضلال بيلاجيوس نطق اغسطينوس بهذه العبارة الشهيرة : تكلمت رومة فانحسم الجدال وانتهت الدعوى وليت الضلال يزول أيضاً وينتهي معاً : » في مكان اخر خاطب الدوناتست الذين مرقوا عن كنيسة المسيح قائلا لهم : « تعالوا اخوتي تعالوا والتصقوا بالكرمة . لقد يغمنا شديداً ان نراكم ساقطين على الارض مقطوعين من الارومة . عدوا أساقفة رومة وتأملوا في سلسلة أحبارها الرسوليين فان هذا الكرسى هو الصخرة التى لاتقوى عليها أبواب الجحيم الشامخة . » واليك نتائج صاحب دليل المصريين من هذه الشهادات : أولاان لرومة السلطان ان تقضى وتحكم في مسائل الدين نهائياً فهى قضت وحكمت وعليه انحسم الجدال وانتهت القضية وسبيل كل مسيحى ان يرضخ لاحكامها . ثانياً ان كرسى رومة هو الصخرة التى لاتقوي عليها أبواب الجحيم الشامخة اى الاضطهادات والارتقات. ثالثاً انه ارومة كرمة الرب فن انقطع منها جفت رطوبته وامحت نضارته . ـ قال الدخيل عن العبارة الاولى اعنى قد حكمت رومة فانتهت القضية انها لاتؤيد رئاسة البابا لان مجمع افريقية كان حكم في بدعة بيلاجيوس دون اعلان البابا الا ان اينوشنسيوس كان قد حرمه في رومة .ان علامة البراموس ينطق في هذه الامور التاريخية بجرأة فيخال للقارى ان الحق ينطق بفمه ولكن كلامه في الواقع بعيد عن الحقيقة . فنقول ان مجمع أفريقية لما حكم على بدعة بيلاجيوس اعلن البابا اينوشنسيوس وبعث اليه بالاعمال طالباً منه ان يؤيدها بسلطانه الباباوي المعطى له من السيد المسيح كما تشهد بذلك الكتب الالهية ودليلنا على ذلك ليس تاريخ الانشقاق ولا كتب الكاثوليك ولكن المجمع الافريقي عينه فانه كتب رسالتين بعث بهما مجمع

قرطاجنة وميليفى الى البابا . واليك خطاب مجمع قرطاجنـة : « من اوريليوس ومن حضر معه في المجمع الى السـيد الزائد الاحترام ومساهمنا في الخدمة البابا انيوشنسيوس سلام . » ثم أوردوا كل ما رسم المجمع ضد بيلاجيوس وختموا بهذا القول . « رأينا ان نخبرك بمـا اجريناه فى المجمع حتى ما رسمته حقارتنا يثبت من سلطة الكرسى الرسولى . » ـ ثم كتب مجمع مليفى . « من سلفان المتقدم والبيبوس واغسطينوس الخ الى غبطة الاب والسيد الجزيل الاحـترام انيوشنسيوس سلام . » ثم ذكروا له أضاليل بيلاجيوس وقالوا . «ان الاراتقة لم يشأوا الخضوع ولكن لنا الامـل بان المتمسكين بهذه التعاليم الخبيثة ينقادون بسهولة الى سلطة قداستكم التى نراها مبنية على الكتب المقدسة . » اليك الآن رد البـابا . « الى المجمع المقدس الملتئم فى قرطاجنة السلام . حسب القوانين الكنائسـية وامتثالا للتقليد القديم استشرتمونا فى أمور مهمة حقيقة ان يلتفت اليهـا من الاساقفة ومجمع قانوني كاثوليكي وأسرعتم ان تستندوا على حكمنا لستم جاهلين حقوق الكرسى الرسولى وحفظتم كما يليق بالاساقفة شرائع ابائنا لان ما سنوه كان بالهام الهى وهو . ان مهما يرسم ولو في بلاد شاسعة واقطار بعيدة لايعد منهياً الا بعد اعـلان الكرسى الرسولى به حتى سلطته التامة تصادق على ما صنع بالعدل والانصـاف . ومن هناك كمن الينابيع المبـدأية النقية تجرى فى كل أقطار المسكونة مياه الحق الصافية ومن هناك تتخذ الكنائس كلها قاعدة تعرف بهـا ما يمكنه رسمه ومن يلزمها تبرئته أو شجبه . فشكراً لكم اذاً أيها الاخوة الاعزاء لاجل الرسائل التى بعثتم بها الينا.» هذا ما كتبه البابا الى مجمع قرطاجنة ثم أرسل خطاباً في هذا المعنى لمجمع ميليفى . والقـديس اغسطينوس فى كلامه عن هاتين الرسالتين قال . « ان مجمع قرطاجنة ومجمع ميليفى أرسلا الى البابا انيوشنسيوس يعلماه بمـا رسماه ضد اضاليل بيلاجيوس فجاوبهما بالوجه الذى يليق بالكرسى الرسولى (رسالة اغسطينوس الى بولينوس) . فمن هذه المخابرة يتضح اولا ان مجمع افريقية ماحكم على بيلاجيوس دون اعـلان البابا كما زعم

الدخيل ثانياً تتلألأ كالشمس رئاسة الحبر الروماني . فان المجمع يقول له ان سلطته مثبوتة من الكتب المقدسة وان اعمال المجامع لا بد ان تؤيدها سلطة الكرسي الرسولي . وهو يجاوبهم بانهم حفظوا القوانين اذ أرادوا تثبيت حكمهم منه فانه اذا طرأت مسائل دينية ولو في امصار شاسعة لا تعد منهية الا بعد اعلان الكرسي الرسولي وتصديقه عليه وانه من هناك تجرى على كل اقطار المسكونة حياة الحق الصافية . وصادق القديس اغسطينوس على كلام البابا قائلا . « ان هذا الكلام لحقيق بالكرسي الرسولي . وبناء على هذه الرسائل صرخ قائلا : لقد نطقت رومة فانحسم الجدال وانتهت القضية .

ثم أضاف البراموسى بان زوزيموس برأ بيلاجيوس . فنقول ان أراد بكلامه هذا ان البابا صادق على هرتقة بيلاجيوس فنكوز ونجيبه بما قال القديس اغسطينوس للاراتقة الذين أرادوا التمسك باضاليل بيلاجيوس زاعمين ان هذا البابا قرّ عليها . واليك كلامه : « اعلن بيلاجيوس بان اهداه الى طريق الرشاد متعلق بالكرسي الرسولي . ثانياً ان البابا زوزيموس طلب من بيلاجيوس ان يرفض كلما اعترف به من الضلال فاجاب الى ذلك وقال انه يرفض تعاليمه حسب حكم البابا اينوشنسيوس . والحال ان البابا اينوشنسيوس رذل كل الاضاليل المتعلقة بمسألتي النعمة والتبرير . أخيراً ان البابا زوزيموس برضائه على بيلاجيوس قصد اجتذابه الى الحق ولكنه لم يصادق أبداً على ضلاله » (ك ٢ ضد رسالتين لاصحاب بيلاجيوس) افهمت يابراموسى . تعلم التاريخ في الاقدمين والقديسين لافي تاريخ الانشقاق .

فلننتقل الى الشهادة الثانية . وهى ان كرسى رومة هو الصخرة التى لاتقوى عليها ابواب الجحيم . اسمع رد الدخيل وتعجب قال ان هذا الكلام يناقض مبدأ التابع . كيف ذلك ؟ لان التابع يقول ان بطرس هو الصخرة وهنا ان كرسى رومة هو الصخرة فاذاً الصخرة ليست واحدة بل صخرات كثيرة وهذا يخالف على خط مستقيم دعوى الرئاسة . — انه لما وقع نظرنا على هذا الكلام

اندهشنا وأي اندهاش وشرعنا نقول : هل علامة البراموس يتكلم على سبيل الجد ام يريد المزاح كيف رأى صخرات كثيرة الا يعلم ان هذه العبارة « كرسي رومة هو الصخرة » كلام استعاري بمعنى الجالس على الكرسي فكأني به يقول تمسكوا بالحبر الروماني فانه صخرة الكنيسة التي لاتقوى عليها أبواب الجحيم . لعمرى ان هذا الكلام قاله المسيح بادي بدء لبطرس اذ جعله رئيس الكنيسة . وعليه يصدق هذا القول على خلفائه في الرئاسة اعني بهم أحبار رومة فان قلت اذاً بطرس هو الصخرة أو الحبر الروماني أو كرسي بطرس صدقاً نطقت وشيئاً واحداً قلت

أخيراً قال الدخيل : ان المسيح هو الصخرة ليس بطرس . ونسى ان الكلام هنا ليس عن بطرس بل عن خليفته وعليه ليراجع القارئ الباب الذي خصصناه لبطرس وجه ١٦

صوت القديس كيرلس

قال الدخيل : ان صاحب دليل المصريين أورد عبارتين من الاب كيرلس اثباتاً لرئاسة البابا الاولى من رسالته الى البابا سلستينوس والاخرى من رسالته الى يوحنا الانطاكي . فني تلك يستشير البابا في ما يعمله من نحو نسطور . وفي هذه يحرض الاب يوحنا الى الرضوخ لحكم سندوس رومة وفي العبارتين لاتنتج الرئاسة المبتغاه . » وهاك حجته لان استمداد الانسان رأى الثاني لايقضي عليه سلطة بل يدل على المساواة فيها . وتحريض الاب كيرلس ليس للرضوخ لحكم البابا بل لحكم المجمع الذي كان يرأسه البابا . — فعن الشهادة الاولى نجيب بان كيرلس ما كتب للبابا ليستمد رأيه فانه كان يعرف حق المعرفة ان تعليم نسطور غريب عن الايمان المستقيم . بل أرسل اليه خطابا لانه كانت عادة جارية من عهد قديم في الكنيسة تلزم البطاركة بطرح المسائل الدينية على البابا .

وعليه لم يشاء كيرلص ان ينفصل من نسطور قبل اعلام البابا بوقائع الدعوى .
واليك نص الرسالة : لو كان لى ان اسكت ولا اعلم قداستكم بمكاتبة عن كلما يجرى بيننا الان من الحوادث المهمة الخطيرة حيث الايمان المستقيم في خطر وقد افسده البعض وعوجه . ولو كان يمكنني ان اسلك هذا المسلك دون خيانة للدين لكنت قلت لنفسي : ان في السكوت سلامة وراحة البال فما بالك تركبين الاهوال وترمين ذاتك في القلاقل . ولكن حيث الله يطلب منا الفطنة في هذه الامور وقد جرت العادة الدائمة في البيعة ان نعلم قداستكم بمثل هذه المسائل فالتزمت ان اطلعكم عليها وما قدرت على عدم المكاتبة الى قداستكم بما صار »
اسمعت يابراموسى ان كيرلص ما استمد رأى البابا فقط بل رأى من واجباته ان يخبره بهذه المسألة وهذا لئلا يخون الدين وينقض العادة الدائمة في البيعة فمالك اذاً لاتقر بالحق فهو يدعوك وأنت عنه منكاب . ثم بعدما أعرض كيرلص على البابا اضاليل نسطور ختم خطابه على هذا النحو: « نطاب من قداستكم ان تعلمونا فيما تفتكرون بشأن النساطرة وتبدوا لنا رأيكم في هذه المسألة فاننا لا نظن ان نبتعد عنهم بسلامة الضمير دون اعلامكم بكل هذه القضية فنرجوكم اذاً ان تفيدونا اذا كانت واجباتنا تلزمنا ان نكون في شركة نسطور أو ان ننادى علناً بعدم الاشتراك مع كل من الافراد المتمذهبين بهذه المذاهب الجديدة والمتمسكين بهذه التعاليم الكاذبة » . أرأيت ان كيرلص العظيم مع مامنح من العلم والقداسة لايستطيع ان يمتنع عن شركة نسطور بسلامة الضمير دون اعلان البابا وانتظر حكمه كي ينادي علناً بعدم الاشتراك مع المتمذهبين بمذهبه . أما ظهر لك جلياً بان هذه الاجراآت هى اجراآت مرؤس امام رئيسه . اما قولك بان تحريض كيرلص ليوحنا البطريرك الانطاكي ليس للرضوخ للبابا بل للمجمع الذي كان البابا يرأسه فلا ينفى الرئاسة بل يثبتها لان هذا المجمع كان مكانياً واحكام المجمع المكاني لاتسرى الا على أهل ابرشيته فكيف اذاً اتخذ كيرلص حكم المجمع الروماني المكاني واعلن للشرقيين انهم ملزومون حتما بالرضوخ له . ما ذلك الا لامتياز

الكرسى الرسولى الذي في وسعه ان يحكم في مسائل الشرقيين وبالتالى له الامر والنهى على كل الكنيسة .

أخيراً أتانا الدخيل ببعض فقرات من رسالة ابينا كيرلس كقولك : ان المجمع يطهر المسكونة . ان الايمان الحقيقى تؤيده شهادة جميع الاساقفة وشعوب المسكونة وفى رسالته الى نسطور . يجب ان تعلم يانسطور مثلنا جميعاً نحن الاساقفة ومعلمو الغرب والشرق ورؤساء الشعوب . وظنها تنفى رئاسة الحبر الرومانى وكيف صعد هذا الفكر على قلبه . فخلاصة كل هذه الاقوال هى عبارة عن ان تحديدات المجامع المسكونية معصومة من الغلط وان موافقة كل المسيحيين في مسألة مادليل على حقيقة أيمانهم وهاما تعلمه الى يومنا هذا لاهوتيو الكنيسة الكاثوليكية . فلا نرى كيف هذه الاقوال تسقط الرئاسة فنرجو اذاً علامة البراموس ان يفيدنا بذلك ونكون له من العارفين بالجميل .

صوت المجامع المسكونية

﴿ مجمع نيقيه ﴾

قد أورد دليل المصريين من مجمع نيقية القانون ٣٧ و ٤٤ وبنى عليهما صحة رئاسة الحبر الروماني . فنكر البراموسى هذين القانونين زاعماً بان المجمع النيقاوي لم يسن قوانين بهذا المعنى أبداً واليك الاسباب التى دعته أن يتمسك بزعمه هذا لان ال ٢٠ قانوناً التى تقرّ بها كل الطوائف فيها أحكام تنفى رئاسة البابا المؤيدة من ال ٨٤ قانوناً وضرب من المحال ان المجمع يناقض نفسه . ثم لانها تخالف قوانين الرسل .

قال أولا ان قانوني الرسل ٣٤ و ٣٥ يثبتان استقلال البطاركة فى سياسة كنيستهم . فبعد تلاوتهما ما رأينا شيأ مما ادّعاه البراموسى . اليك نص قانون

٣٤ : يجب على أساقفة كل أمة أن يعرفوا الاوّل فيهم ويحسبوه رأساً لهم ولا يعملون عملا زائداً بلا رأيه . فكل واحد يعمل ما يتعلق بابرشيته وبما يتبعها من البلاد . ولكنه هو أيضاً لا يعمل شيئاً بلا رأيهم جميعاً . » والقانون ٣٥ يقول . « لا يجسرن أسقف على عمل شرطونيات خارج حدوده في المدن والبلاد الغير خاضعة له . » فمن هذين القانونين ينتج أولا ان البطريرك هو أول الاساقفة ورأسهم الامر الذي لايقرّ به البراموسى . ثانيا ان الاساقفة لايستطيعون أن يبدواشيأ بدون رأي البطريرك ثالثاً أن لا يعملوا الا مايتعلق بابرشيتهم . أخيراً لا يجوز لهم أن يشرطنوا خارجا عن البلادالخاضعة لسلطانهم .» هل هذان القانونان ينطقان بشئ آخر . وهل هذه النتائج تنفى سلطة البابا على البطاركة فليحكم القاريء .

أما قوله بان ال ٢٠ قانوناً تنفى رئاسة البابا فمردود من ذات القوانين التى اتى بها اثباتاً لدعواه وهى ال ٤ و ٥ و ٦ و ٧ . فبعد قرأتها في مؤلف الدخيل عينه . تاكدلنا بان هذه الاحكام (ما عداقانون ٦ الذي ينطق صريحا بسلطان الحبر الروماني على كل البطاركة كما سترى) تعلن ما يلزم فعله في كل ابرشية لادارتها الخصوصية ليكون كل شئ فى نظام . واليك خلاصتها. أولا من الصواب أن تعقد مجامع فى كل ابرشية مرتين فى السنة . ثانيا ينبغى أن يقام الاسقف من جميع أساقفة الابرشية . ثالثاً اذاكان هذا عسراً لا بد من اجتماع ثلاثة معا بعد اشتراك الغائبين في الاصوات وموافقتهم كتابة وحينئذ يعملون الشرطونية . أخيراً ان تثبيت الاجرآت منوط بالميتروبوليت . » هـذا هو منطوق القوانين . فلا نرى انها تقول بعدم رئاسة البابا أو باستقلال البطاركة . فنرجو اذا الدخيل ان يفيدنا أيضا هذه المرة كيف استخرج هذه النتيجة . فانه بعد ما أورد هذه القوانين صرخ قائلا . لواضح انها تثبت لكل بطريرك استقلاله (وأي ايضاح) وان بطريرك رومة له كما لهؤلاء البطاركة الاخرين بدون زيادة ونقص . وظن انه فى مجرد كلامه كفاية للبرهان .

اليك الآن نص قانون ٦ : لتحفظ السنة القديمة التي في مصر وليبيه والخمس مدن بان تكون السلطة على هذه كلها لاسقف الاسكندريه بما ان هذه العادة مرعية للاسقف الذي في رومة أيضا . الخ » فمن هذا القانون يتضح جلياً ليس استقلال البطاركة كما زعم البراموسى بل سلطان البابا عليهم ولا سيما على بطريرك الاسكندريه . ولنلاحظ أولا ان المجمع النيقاوى يريد بكلامه : « لان هذه العادة مرعية لاسقف رومة . » أن يؤدي السبب الذي من أجله يلزم حفظ هذه السنة القديمة أي « لبطريرك اسكندريه أن يتولى تدبير مصر وليبيه والخمس مدن . » وماذا قصد المجمع بايراده هذا السبب . هل أراد القول : بانه لبطريرك اسكندرية أن يدبر مصر وليبية الخ . لان هذه العادة مرعية لاسقف رومة أن يدبر الغرب على ما فسر بعض اراتقة . ولكن من لا يرى فساد هذا التأويل . كانهم يقولون بما ان البابا له ولاية الغرب . فاذاً لا بد أن يكون لبطريرك اسكندريه تدبير مصر وليبية . ولماذا ما قال أفريقيا والشرق كله . فاننا لا نرى رابطاً بين هذه القضايا . فانها متباينة مختلفة . اسمع اذاً التفسير الذي اجمع عليه كل علماء الكنيسة وهو . ان بطريرك الاسكندريه له أن يسوس مصر وليبية والخمس مدن لان أسقف رومة قبل تحديد هذا الامر من المجمع النيقاوى ثبت هذه العادة وصادق عليها . قل ياعلامة البراموس . قد جاء الحق وزهق الباطل فهذا التأويل يابي العقل الا قبوله . وان كان الامر كذلك فاذن البابا هو الذي يرسم الدائرة التي تمتد عليها سلطة كل بطريرك ويحدد لهم البلاد التي يلزمها الخضوع لسلطانهم . وخارجا عن هذه الاقاليم لايمكنهم أن ينفذوا أوامرهم . فان المسيح سلم فقط الى بطرس وخلفائه ادارة كل المسيحيين العامة وسياسة الكنيسه كما قال القديس كيرلس . فاين اذاً سلطان البطاركة من سلطان الحبر الروماني . وأين استقلالهم في سياسة ابرشيتهم .

أخيراً ايضاحاً لهذه المسألة ليعلم الدخيل ان سياسة الكنيسة على قسمين خصوصية وعمومية . فالخصوصية تتعلق بكل بطريرك ويمكنه ان يعقد مجامع

اقليمية ويسن باتحاد الاراء مع اساقفته شرائع لاصلاح البلاد التى تخضع لسلطانه كما رأينا في قوانين الرسل . ولكن الادارة العمومية كقولك المسائل الدينيـة وتقرير رسامة البطاركة تتعلق بالبابا لا غير كما يشهد بذلك التاريخ . لا يخفى على اهل العلم ان ديوسكورس نفسه اذ سيم بطريركا على الاسكندرية ارسل كاهناً مصرياً يدعى بيسـدونيوس الى رومه يعلم البابا برسامته . ويلتمس منه تصديقه عليها . فاجابه البابا لاون الى سؤاله فى ٢١ من شهر يونيو سنة ٤٤٥ ومن سعيد حظنا قد بلغ هذا الجواب الينا . ففيه يقول البابا لديوسكورس . «انك تستطيع ان تتحقق الحب العظيم الذى يضطرم اجيجه في قلبنا نحوكم بمبادرتنـا في تثبيت ابتدا اسـقفيتكم حتى لا ينقصكم شئ من الكمال . وهذه المنة التى نمنحها لكم كابيكم واخيكم معاً لا بد ان تسر خاطر قداستكم . وسبيلكم ان تقبلوها بالعواطف التى حركتنا ان نتكرم عليكم بها . » وبعد ما صادق لاون على اسقفية ديسقورس ذكر له ان القديس مرقص اول من جلس على كرسى الاسـكندرية وتولى سياستها كان تلميذ القديس بطرس الذي استلم من المسيح الرئاسة الرسـولية . وعليه لا بد من ان كنيسه الاسكندرية التى ليس لها الا روح مؤسسها وعواطفه تتبع قوانين كنيسة رومة . ثم امر ان لا تصير في الاسكندرية كفى رومية رسامة الكهنة والشماسـة الا يوم الاحـد . وان الذين يمنحون الشرطونية كما والذين يقبلونها يكونون صائمين . وهذه القوانين لم تزل الى يومنا هذا محفوظة في الكنيسة القبطية . أرأيت يا راموسى ان الحبر الروماني له ادارة الكنيسـة العموميـة وان البطاركة ليسوا مستقلين . بل يلزمهم ان يخضعوا له فى المسائل العمومية اعنى التى تتعلق بادارة الكنيسة باسرها . وحتى تعتبر رسامتهم شرعية قانونية لا بد من التصديق عليها من البابا .

أما قولك بان قوانين مجمع سرديكى قد منحت للبابا يوليوس حق استئناف الحكم على اساقفة الغرب فقط . فجوابه تراه فى بحثنا عن هذا المجمع وجه ٧٥ — ٧٨ فهناك قد اوردنا اعظم المؤرخين واشهرهم كقولك سـقراط وسـوذومانس

وتاودوريتوس الذين اجمعوا الرأي على ان وجوب استئناف الاحكام الى البابا هو امر مسلم به من غرة النصرانية قائلين انه توجد سنة كنائسية تنص : اذا طرأ حادث لا بد ان يحرر أولا للبابا . وان كلما يأتيه احد المجامع باطل ما لم يصادق عليه الحبر الروماني . وأوضحنا جلياً مسكونيـة مجمع سرديقي وان احكامه تسري على اساقفة الشرق . كيف لا وباعث انعقاده كانت مسائل شرقيـة وجرى فيه الغاء مجمع شرقي وتزكيـة وحرم بطاركة شرقيين . ثم حضره عدد كثير من اساقفة الشرق وأمضوا على قوانينه . أخيراً قال المجمع عينه « من عين الصواب ان اساقفة كل الاقاليم (ليس الغرب فقط) يحيلون امورهم الى رئيسهم اعنى كرسي بطرس الرسول .

أما استنادك على مجمع افريقيا لانكار ال ٨٤ قانوناً فباطل . فان هذا المجمع يشهد على نفسه انه ملفق كما اثبتنا ذلك في باب الكنيسة الجامعة وجه ٣٣ ـــ ٣٩ وكشفنا الغطاء عن وجهه وأظهرنا للجميع عدم دربة المخترع وقلة حذاقته .

لقد ثبت اذاً وجود هذه القوانين ال ٨٤ وعلى وجه خصوصي القانون ٣٧ و ٤٤ وقد ذكرها اشهر المؤرخين واباء الكنيسـة كقولك اثناسيوس وافسابيوس اللذان حضرا المجمع النيقاوي ومحفل كل الطوائف الشرقية ونخص بالذكر منها كنيسة الدخيل اعنى كنيسة اليعاقبة السريان التى عندها ثابتة هذه القوانين كما شهد بذلك العلامة القبطي ابن العسال .

صوت مجمع القسطنطنية

قال الدخيـل : ان هـذا المجمع لايثبت رئاسة البابا بمقدار ما ينفيها . لانه انعقد بغير معرفة البابا ولا برأيه ولم يحضره هو ولا نواب من قبله ولا تليت رسالة منـه نيابة عنه . وعبثاً تلتمس منـه شواهد على ما جاء به . مع انها قاعدة مرعية عند الجميع ان الخصم لا يجوز له ابداً أمر دون اداء الحجة عنه .

ولكن البراموسى صاحب الاكتشافات العظيمة اخترع قانوناً جديداً ونشير على اهل المحاكم ان يرتاحوا الى حسن مشربه ويسيروا بموجبه .

كان يسعنا ان نجيبه كما فعل أعنى نافين أقواله دون ايراد حجة . ولكن لئلا يظن القارئ ان المجمع القسطنطيني التئم في الواقع دون اعلان البابا نأتيه ببعض بينات تزيل كل ارتياب في هـذه المسألة . وكفانا شاهـداً لالتئام هذا المجمع بمعرفة البابا لابل بامره أولا المجمع نفسه فانه يقول في رسالتـه السينودوسية التى بعث بها الى البابا : انهم اجتمعوا فى القسطنطنية مطابقة للخطاب المرسول العام الماضى من وقاره الى الملك تاودوسـيوس . » ثانياً تاودوريتوس الذى أدرج هذه الرسالة بكمالها في تاريخه الكنائسى ك ٥ صحه ٩) ثالثاً المؤرخ نيـلوس الذى قال في كتابه عن المجامع : ان البابا داماسيوس ترأس مجمع القسطنطينية (بلا شك بشخص نوابه) . أخيراً الكنيسة القبطية التى تعترف في سـنكسارها بان الاباء ١٥٠ الذين اجتمعوا في القسـطنطينية على عهد تاودوسيوس الكبير ذهب بعضهم الى الملك وسألوه ان يعـقد مجمعاً لينظر في كفر ماكدونيوس . فقبـل قولهم وأرسل الى دماسوس بابا رومة والى الاب تيموتاوس بطريرك الاسكندرية . فحضر الاباء ١٥٠ ولم يحضر بابا رومـة ولكن حضر نوابه ومعهم رسالة بخطه (اول يوم من شهر امشير عيد تذكار اباء مجمع القسطنطينية) أسمعت ياعلامـة البراموس من فم الكنيسـة القبطية ان المجمع انعـقد بمعرفـة البابا وانه حضره بشخص نوابه وبعث معهم رسالة مكتوبة بخط يده . ولكن ربمـا هذا القول كان لديك من عدة الاسـباب التى حملتـك على ان تنسب لها الاقوال الكاذبة والحكايات الفارغة . الا انه امر غريب كوننا نرى الكنيسـة القبطية سائرة في خطة لاتنطبق الا على تعاليم الكنيسـة الرومانية وتناقض على خط مستقيم كل دعاوى الدخيل .

ثم ان المجمع بعد ما انعقد بمعرفة البابا . قدأ ثبت الحبر الرومانى اعماله وصادق عليها كما يشهد بذلك أولا المجمع عينه الذى في رسالته الى البابا داماسوس أخبره بكل اجرآته

وتحديداته وبعث اليه مع هذه الرسالة الاعمال والتمس منه ان يصادق عليها . ثم يقر بهذا الامر أيضاً فوثيوس في كتابه عن المجامع . اليك قوله . « ان داما سوس بابا رومة ثبت ما قرره المجمع الثاني المسكوني . » ولم يكتف المجمع بان يرسل له الاعمال . بل بعد ما شرطن نيكتار بطريركا على القسطنطنية ظن ان اعلان البابا بهذا الامر ليصادق عليه واجب من أقدس الواجبات عليه كما يشهد بذلك بونفاسيوس وتادوريتوس المؤرخ . قال أحدهما في رسالته الى اساقفة ايليرى ان الملك تاودوسيوس ارسل سفيراً الى البابا يلتمس منه تثبيت شرطونية نيكتار وقال الاخر . ان المجمع نفسه بعث الى البابا داماسيوس مع الاعمال خطاباً فيه يطلب منه التصديق على رسامة نيكتار وفلافيانوس بطريرك انطاكية . وهذا دليل جلي على سلطان البابا على كل الشعب المسيحي ورؤساء النصرانية لابل على المجامع نفسها. كيف لا ونرى ان أعمال المجمع عينه لاتسرى الا بعد تثبيت الحبر الرماني . لقد صدق سقراط وسوذومانس وتاودوريتوس بقولهم انه يوجد قانون كنائسي من غرة النصرانية ينص . ان كلما يأتيه أحد المجامع باطل مالم يصادق عليه أسقف رومة : وان البابا يوليوس حسناً صنع وقانونياً تصرف حينما النى مجمع انطاكيه الذى رسم احكاما ووضع قوانين دون اعلان البابا بذلك . ثم ليعلم الدخيل ان هذا السلطان ليس امتيازاً مدنياً كما زعم ولكن تسلمه البابا بحق الهى . لان المجمع مع اعطائه المحل الثانى في الجلسة لبطريرك القسطنطنية حفظ المحل الاول للبابا قائلا صريحاً . ان كرسى القسطنطنية يكون الاول بعد رومة . ولا يخفى على أحد ان القسطنطنية كانت وقتئذ مركز السلطة المدنية وكان لها مقام أعظم من رومة . ومع ذلك مافازت بالمحل الاول . أخيراً امر المجمع القسطنطيني بحفظ كل القوانين التى وضعها اباء نيقية . والحال نرى بين هذه القوانين مايثبت صريحاً رئاسة البابا كقولك قانون ٣٧ و ٤٤ ويحسن هنا اعلانهما . « ينبغى ان تكون البطاركة في العالم باسره أربعة لاغير ... ويكون الرئيس منهم المقدم عليهم صاحب كرسى بطرس برومة على

ما أمر به الرسل (قانون ٣٧) ـ كما ان للبطريرك أمراً على من تحت يده فكذلك صاحب رومة له سلطان على سائر البطاركة فانه الاول مثل بطرس فيما كان له من السلطان على رؤساء النصرانية وجماعه اهلها لانه خليفة المسيح ربنا على شعبه وكنائسه . ومن تجاسر وخالف ذلك يكون محروماً (قانون ٤٤)

هذا هو ايمان نيقية هذا هو ايمان القسطنطينية . فسبيل كل مسيحي اذاً ان يدخل في سريرة عقله ويعمل الفكرة في هذه الامور الخطيرة ويتمسك بها. فان فيها الهدى والخلاص .

صوت مجمع افسس

ان صاحب دليل المصريين بعد ما امعن النظر في اعمال المجمع الافسسى ورأها كلها جارية على موجب أوامر البابا سلستينوس صرخ قائلا : لعمري ان الحبر الروماني وان لم يكن حاضراً في المجمع بنفسه . مع ذلك كان روحه ورئيسه الأعلى . فهو الذي اعطى نسطور مهلة عشرة ايام ليرتد ويرتدع عن تعاليمه الفاسدة . هو الذي أصدر الحكم المعلن بحذفه وحرمه . واعلم به كل البطاركة . هو الذي وكل بطريرك الاسكندرية ان ينفذه وان يستعمل في هذا الامر سلطان كرسى بطرس الرسول . واليه قد وجه المجمع المقدس الخطاب ليعرف ما يلزمه فعله اذا كان يقبل نسطور في شركته على افتراض جحده تعاليمه الفاسدة . أو ينفذ الحكم البابوي على ماصدر أولا . وزيادة عن ذلك قد نادى المجمع المقدس علانية انه لم يلتئم الا لينفذ حكم الحبر الروماني ولم يقرر الا ما هو مدون في القوانين الكنائسية وما قد سطر في رسالة أبيهم وشريكهم في الخدمة الحبر الروماني الجزيل القداسة والطوبى سلستينوس . وقال الابا بفم فرموس انهم تقلدوا الحكم من البابا وانه هو الذي اهداهم الى الطريقة التى سلكوها في هذه المسألة وما أتوا الا بما أمرهم به البابا . » (دليل المصريين

وجه ٩٧ و ٩٨) وأثبت كلامه هذا من اعمال المجمع نفسه .

اليك الان رد الدخيل : قال أولا : ان البابا لم يحكم على بدعة نسطور بل المجمع الروماني الذي كان يرأسه البابا . ثانياً ان البابا ما قال لكيرلس نقلدك سلطتنا ونقيمك مقامنا لتنفذ حكمنا على نسطور . بل قال نضيف اليك سلطتنا . ثالثاً انكر كون المجمع كتب يسأل البابا عما اذا كان يجوز قبول نسطور بعد ما مضت عليه المدة المعينة بشرط ان يرفض تعاليمه . أخيراً نفى كون المجمع التئم لينفذ حكم الحبر الروماني مضيفاً بان هذا الامر لا ينطبق على عادة وقوانين الكنيسة والعقل . ومن المعلوم ان علامة البراموس سلك في هذا الباب أيضاً مسلكه المعتاد أعني يحكم ويقطع ويجزم دون برهان يثبت به أقواله .

قال أولا : ان البابا لم يحكم على نسطور بل المجمع الروماني الذي حكم عليه وأعطى له أجلا معيناً وهذا ينافي دعوي صاحب دليل المصريين . فباطلا تسأله كيف ولماذا . فان في كلمته كفاية البرهان . نعم ان المجمع الروماني الذي كان يرأسه البابا هو الذي حكم على نسطور . وهذا مما يثبت رئاسة الحبر الروماني لقد فات على البراموسى كون هذا المجمع مكانياً وان أحكام كل كنيسة مكانية لاتسرى الا عليها نفسها كما قرّ هو عينه (وجه ٣٣ سطر ١٩ و ٢٠) فليقل لنا اذن الدخيل كيف حكم المجمع الرومانى المكاني جرى على بطريرك القسطنطينية وباى سلطان أمر بانزاله عن سدته وحذفه من البيعة ان ابى في برهة عشرة ايام من بعد اعلانه الحكم ان يحرم تعليمه الفاسد . ومع ذلك صادقت كل الكنائس على هذا الحكم واعتبرته شرعياً . فسر لنا ياعلامة البراموس هذا الامر الملتبس وأوقفنا على جليته وتبيانه . فانك من جهة تقول ان احكام الكنيسة المكانية لاتسرى الا عليها نفسها . ومن جهة أخرى تعلن صريحاً ان حكم المجمع الروماني المكاني قد جرى على بطريرك القسطنطينية أى خارجاً عن دائرة كنيسة الغرب . لعمرى ان ذلك على طرفى نقيض وكيف تجتمع الاضداد قرّ اذاً بان حكم المجمع الروماني جرى على بطريرك شرقى لان البابا الذي كان

يرأسه له سلطان على الشرق والغرب وان احكامه في أمور الدين يلزمنا اعتبارها كانها احكام المسيح نفسه . ولا تظن ان هـذا القول مختلق . لا بل هو ذات الكلام الذي نطق به البابا وصادق عليه كيرلس والمجمع الافسسى . قال البابا في رسالته الى كيرلس (مجمع افسس الجزء الاول صحه ٥) ان ما كتبناه لك نكتبه أيضاً لاخوتنا الاساقفة حتى حكمنا أو بالحري حكم مخلصنا يسوع المسيح يعلن لعدد وافر ». قل ياعلامة البرموس . قد أنارت الشبهة واسفرت الظلمة . وبان جليا كون البابا هو القاضى السامى الذي لا مراجعة لقوله ولاراد لقضائه . وقد سمعت ان أوامره بخصوص الديانه قد يلزمنا اعتبارها كانها أوامر الرب يسوع .

أما قولك بان البابا ماقال لكيرلس قلدناك السلطة بل أضفنا اليك . فمردود من ذات النص . فان البابا بعث الى كيرلس كتاباً يعلن له فيه الحكم على نسطور وانه يقيمه نائبه في هذه المسأله . ويعهد اليه تنفيذ الحكم . وهذا مما يدل على انه قلده سلطانه . فان كيرلس ليس الا منفذاً لحكم البابا . وكيف يمكنه تنفيذ الحكم ما لم يكن مقلداً بسلطان الحاكم . فضلا عن ان النص الاصلي في يدنا . واليك ترجمته حرفياً باللغة العربية . « نفوضك ان تستخدم مقامنا وتنوب عنا بسلطان لتنفذ الخ . . . » ومن هذه الرسالة وغيرها التى بعث بها الى بطريرك القسطنطينية وأهم بطاركة الشرق يعلمهم بالحكم الذي أصدره على نسطور يظهر جلياً سلطان البابا على كل كنائس الله . كيف لا وفي هذا الحكم قد فصل بسلطانه الخاص مسألة دينية من أصعب المسائل واعضلها . بسلطانه الخاص قد حكم على نسطور وحذفه من الكنيسة . بسلطانه الخاص قد صدرت الاوامر العالية . باعثاً الى كيرلس كتاباً يأمره به أن يصير نائبه وينفذ حكمه . بسلطانه الخاص اعلن لكل البطاركة حكمه على نسطور منادياً عليهم أن يمتثلوا لاوامره ولا يشتركوا مع المبدع . وفعلا كل البطاركة قبلوا بخضوع الاوامر الصادرة من الكرسى الرسولى وساروا بموجبها كما سنرى . (صاحب دليل المصريين وجه ٩٢)

أما زعمك بان المجمع لم يكتب يسأل البابا عما اذا كان يجوز قبول نسطور بعد ما مضت عليه المدة المعينة . فجوابه رسالة البابا سلستينوس الى كيرلس المدونة في المجمع الافسسى جزء ٢ . فانها تدل وأي دلالة على ان المجمع كتب يسأله عن هذا الامر الذي نحن في شأنه . وهاك نص هذه الرسالة . « من سلستينوس الحبر الروماني الى كيرلس الاسكندرى . فانجب اذاً قد استك عن سؤالك أعنى اذا كان يجب على المجمع المقدس أن يقبل الانسان الذي يحرم الامور التى قد بشر بها سابقاً . أم أن يدوم الحكم على ماصدر لانه قد مضى زمن الاجل المعين . » أما قرأت هذه الرسالة يا علامة البراموس . أما تستنتج منها ان القديس كيرلس كتب الى البابا باسم المجمع يسأله عما اذا كان يمكنه قبول نسطور ام لا . فهذا هو منطوق الرسالة حرفياً . هل ظننت ان تاريخ الانشقاق الذى اعتمدت على نقله هو مهبط اسرار العلم . ومجموع كل الشواهد العلمية والنقلية حتى يجوز لك انكار كلما لا تجده مذكوراً فيه . اصرف بالحرى همتك في درس المجامع ولكن طالعها في نصها الاصلى . فحينئذ اذا أتيت بشئ ايجاباً أو سلباً يكون من حيث تعلم وتعقل لا من حيث تعتاد وتنقل .

اردفت أخيراً ان المجمع ما التئم لينفذ الحكم البابوى معلناً بان هذا الامر لا ينطبق على قوانين الكنيسة وقواعد العقل . ولماذا ما اوردت هذه القوانين أما كان يمكنك على القليل ان تشير عنها وتقول لنا فى أى من المجامع رأيتها ثم ما نبست بحرف واحد عن شواهد صاحب دليل المصريين وما اخذت على نفسك ان تدحضها . فانه أظهر لك جلياً هذا الامر اعنى التئام المجمع لتنفيذ الحكم البابوي اولا من نفس رسالة البابا الى كيرلس . اما سمعته يقول له فيها اننا نفوضكم ان تستخدموا مكاننا لتنفذوا حكمنا على نسطور . وان ابى ان يحرم تعليمه الكفري بادروا الى تنصيب راع جديد مكانه واقطعوه بدون شفقة من جسم الكنيسة (مجمع افسس جزء اول صحـ ٥) ولا تظن ان كيرلس انى ان ينفذ حكم البابا قائلا . ان هذا التصرف غريب عن قوانين المجامع ولا يكاد

العقل ان يقبله . بل كتب الى نسطور باسم اساقفة مصر . ان لم تقبل ذلك يا نسطور (اي ان لم ترفض اعتقادك الفاسد) بحسب الاجل المذكور والمرسوم في رسائل البابا سلستينوس . لا يكون لك فيما بعد نصيب ولا شركة مع الاساقفة ولا يكون لك مكان فيما بينهم . (مجمع افسس جزء اول صح ٢٦)
ثانياً من القرار الذى لفظه فرموس اسقف قيصرية كابادوكى بحضرة كل اباء المجمع قائلا : « ان كرسى الحبر سلستينوس الرسولى المقدس قد سبق وقرر فى كتاباته المنفذة الى الاساقفة كيرلس الاسكندرى ويوفينال الاورشليمى وروفوس التسالونيكى كما ولكنيستى القسطنطنية وانطاكيه الحكم والقاعدة التى يجب السير عليها في هذه المسألة . فامتثالا لامره وانقياداً لوصيته قد نفذنا هذا الحكم القضائي الرسولى على نسطور الذى رفض الاجابة الى استدعائنا له (مجمع افسس جزء ٢ عمل ٢) أما قرأت هذا الخطاب . وكيف لم تر ان البابا هو الذى قرر لكل بطاركة الشرق الحكم والقاعدة التى ينبغى السير بموجبها . وان هؤلاء امتثالا لامره قد نفذوا الحكم الباباوي على نسطور . لا بل ضربت عنه صفحاً بالكلية . فانه يضادد صريحاً وعلى خط مستقيم دعواك الفاسدة . ولكن ليس هكذا يتصرف من يحب الحق ويرغب فيه عن الضلال . أخيراً من كلام المجمع الذى قال . اننا قد اضطررنا من القوانين ومن كتابة ابينا سلستينوس حبر رومة فبين المجمع بقوله هذا ان سلطان القوانين والبابا هو الحكم الاعظم ليس سلطان القوانين وحدها . فانه اعلن : ان تنفيذ الحكم قد جرى وفقاً للقوانين وتعليمات البابا قارناً مع قوانين المجامع سلطان الحبر الروماني . فان القوانين تعلن المبادى العمومية كقولك : من يعلم تعليما اراتيكياً يحذف من الكنيسة . ولكن من الاراتيكي . وكيف نعرف ان تعاليمه تضاد النصوص المنزلة . لك تحديدات البابا . فالقانون يقول . لا بد ان كل اراتيكي يقطع من جسد البيعة والبابا يقول ان هذا الرجل هو اراتيكي . وبناء على ذلك سبيل كل مسيحى ان يمتنع عن شركته وفقاً للقوانين واعلان البابا . كما اضطر المجمع عينه ان يحرم نسطور

وينزله من سدته البطريركية مطابقة لاحكام المجامع ومراسيم البابا . افهمت الان يا راهب البراموس واتضح لك جلياً كون المجمع يقرّ بسلطان البابا فى تحديد المسائل الدينية وانه ما التأم الا لينفذ حكمه. ولذا قضينا العجب كونك انكرت هذه السلطة على الحبر الرومانى قائلا . « ان كلام فيلبس نائب البابا لا يخرج عن كونه تعظيما وان المجمع لم يعتبر هذا المدح بصفة قانونية . فان كيرلس قال بعد ما انتهى النواب من خطابهم . ان التقارير التى جرت . . . ومن القس فيلبس صارت واضحة عندنا فانه لفظ بالقبول حالا محل السدة الرسولية » وقد رأينا ان اباء المجمع في كل اجراآتهم قروا فعلا بان البابا رئيسهم وان احكامه لا بد ان تطاع . وقد رأينا ان المجمع المقدس لم يحكم على نسطور الا بامر البابا رئيسه . فهو الذى اصدر الاوامر الى البطريرك الاسكندري لينفذ بكل صرامة الحكم على نسطور وبعث الى كل بطاركة الشرق بالحكم وارشدهم الى الطريقة الواجب سلوكها فى هذه المسألة أخيراً قر المجمع بانه حكم على نسطور حكما قانونياً رسولياً لانه نفذه وفقاً لاوامر وتعليمات الحبر الروماني ثم اعلم ان التفخيم والتبجيل له حدود لا يمكنه ان يتجاوزها . فان كان على ما تقول سلطان بطرس ليس له اثر في الكنيسة . فكيف استطاع فيلبس ان ينطق فى بهرة المجمع . بانه امر مقرر ومعترف به فى كل الاجيال بان بطرس هو هامة الرسل والى الان يحيي ويحكم بشخص خلفائه أحبار رومة ، هل هذه امور يسلم بها العقل ، أو كان يظن فيلبس ان بطاركة الشرق يجهلون تشكيل الكنيسة فاحب ان يأخذهم في غفلتهم ، فضلا عن انه لفظ كلامه هذا حين امضائه على الحكم اعنى في وقت شرعى بصفته نائب عن الكرسى الرسولى ، وهذا ما يثبت ان قوله لابدّ ان يعتبر قانونياً ، ثم ماذا قال كيرلس لتفصل وتحكم بان المجمع لم يعتبر كلام فيلبس بصفة قانونية ، قد سمعتم قوله الذى هو . ان التقارير التى جرت من فيلبس صارت واضحة عندنا ، واليكم ما قر به فيلبس المذكور . انه بصفته نائب الحبر الروماني الذى له السلطان ان يحكم نهائيا في المسائل الدينية . يعلن ان نسطور قد أبدى تعاليم

كفرية وعوض ان يرتدع عن فساد اعتقاده . قد تمرد وابى الحضور بين أباء المجمع حسب المراسيم البابا وية . وبناء على هذه السلطة السامية التى لبطرس وخلفائه نقرر بان حكم المجمع على نسطور لفى غاية العدل وحسب القانون . » والحال ان كيرلس نطق بان هذه التقارير صارت واضحة عنده فاذاً كلما فاه به فيلبس ثابت عند كيرلس ومعتبر قانونياً لدى المجمع وهنا انتهى قول صاحب دليل المصريين ورد الدخيل عليه . فقبل الختام اود ان أورد بعض أقوال متخذة من المجمع الافسسي لابد ان تدخل علامة البراموس في بحر الاندهاش كيف لا والمجمع يقر بان سلطان الكرسى البطرسى يعلو سلطانه الامر الذى ينتج من اجرآت اباء المجمع بخصوص يوحنا بطريرك انطاكية . لايخفى على علم أحد ان بطريرك انطاكية كان حرم كيرلس وميمنون اللذين دافعا عن الايمان أجل المدافعة فاعلنه المجمع بالحضور فلم يحضر . حينئذ قام يوفينال بطريرك اورشليم في ظهراني الاباء وصرخ قائلا : « انه من واجبات يوحنا الانطاكى ان يحضر فى المجمع ويزكى نفسه امام كرسى رومة الرسولي الجالس بيننا لاسيما وقد جرت العادة التى رتبها الرسل بان أمور كرسى انطاكية تحول لكرسى رومة ومنه يصدر الحكم عليها (مجمع افسس عمل ٤ جز ٢) وقال المجمع للبابا في خطاب بعث به اليه « انه من الواجب ان نورد كل الاعمال الى قداستكم » ثم بعد ما قصوا عليه حرم نسطور اعلموه بامر يوحنا البطريرك الانطاكى وقالوا « ان سؤ تصرف هذا البطريرك قد حركنا ضده وكنا نرغب ان نعامله مثل نسطور أى نخلعه من كرسيه ونسقط على رأسه الحرم الذي لفظه ضد الابرياء (اعنى كيرلس وميمنون) وهذا دون الخروج عن العدالة . مع ذلك نحفظ هذا الامر لحكم قداستكم » (رسالة المجمع عمل ٥ جز ٢) فاجابهم الحبر الروماني مادحاً كل أعمالهم قائلا « انهم حسنا صنعوا ما صنعوا ثم أضاف : « ان عناية بطرس تم الجميع وعلى وجه خصوصى أهل انطاكية ولكن لى الامل بان يوحنا يرتدع عن غيه والا تسرى عليه أحكام البيعة (جزء ثالث صح ٢٠)

لعمري اذا كان هـذا القول لا يدل على ان البابا هو القاضى الذى لا قاضى بعده وعلى ان سلطانه يعلو كل سلطان كنائسى . فاقر اني لست فاهما للغة البشر . فمن جهة نرى المجمع عينه لايشاء ان يحكم على يوحنا . مع انه كان انعقد لحسم كلما يتعلق بمسألة نسطور ويحرم كل المتمذهبين بمذهبه . ومن جهة أخرى يحفظ هـذا الامر لحكم البابا . لماذا ؟ أما هو القاضى الاخير . كلا . فان أحكامه لابد ان تثبت من الحبر الروماني . ولذا بعثوا اليـه بكل الاعمال . وما أرادوا ان يحكموا فى مسألة البطريرك الانطاكى . لان كرسى انطاكية سبيله على مارتب الرسـل ان يحاكم من الكرسى البطرسى . فالبابا اذاً هو الحكم الاعظم على البطاركة والمجامع . فلا يراجع فى قضائه ويرد . وقد تسلم من الرب أمر كل الكنائس وتدبيرها . فاذن :

حيث ان المسيح من جهة اسس كنيسة كاثوليكية أي ممتدة من أقاصى المسكونة الى أقاصيها . ومن جهة أخرى اراد الوحدة فيها ــ حيث ان هذه الوحدة لاتقوم الا برأس واحـد عام يجمع كل الرؤسـاء الخصوصيين وبهـم كل الكنيسـة ــ حيث ان المسيح وان يكن فوض للرسـل سلطاناً اسقفياً مثل الذى أعطاه لبطرس مع ذلك اعلاناً للوحدة الكنائسية سلم الى بطرس الرئاسة وأقام كرسياً واحـداً ووضع مبدا الوحـدة في واحد لاغير ــ حيث انه ليس لهـذا الترتيب الالهى سبيل الى التغيير وان المسيح أراد دوام هذه الوحدة فى الكنيسة الى انقضا الدهر لزم بالطبع ان الرئيس العام مبدا الوحدة يكون دائماً بدون انقطاع الى آخر الزمن ــ حيث ان الحبر الروماني جالس على كرسى بطرس الذى تقلد الاول الرئاسة ــ حيث ان كل الاباء يؤيدون رئاسة الحـبر الروماني على كل الكنائس وكل البطاركة ــ حيث ان أعظم مؤرخى الاعصار الاولى يعلنون انه يوجد من العهد الرسولى قانون ينص : ان البابا له عناية الاساقفة أجمعـين وان كلما يأتيه أحد المجامع باطل مالم يصادق عليه الحبر الروماني ــ حيث ان المجمع النيقاوى يقر ان البابا له سـلطان على كل المؤمنين وانه خليفة المسـيح على كل

رؤساء النصرانية (قانون ٤٤) وانه هو الذى يحدد دائرة البلاد التى تمتد عليها سلطتهم . (قانون ٦) ـ حيث ان المجمع القسطنطينى يأمر بحفظ كل مراسيم نيقية ـ حيث ان المجمع الافسسى يعلن ان الكرسى الروماني سبق وقرر الحكم والقاعدة التى يجب السير بمقتضاها وانه امتثالا لامره وانقياداً لوصيته نفذ هذا الحكم القضائي الرسولى على نسطور ـ حيث انه فى هذا المجمع المومى اليه قيل انه امر معلوم ومعترف به في كل الاجيال كون بطرس هو رأس الرسل ويحيي ويحكم دائماً ابداً فى شخص خلفائه احبار رومة ـ حيث ان هذا القول قانونى وشرعى وصادق عليه كل المجمع لاسيما الاب كيرلس ـ حيث ان المجمع يعترف فى رسالته السينودسية ان كل اعماله لابد لها من تثبيت البابا الذى يخصه تدبير كل البطاركة ولا سيما بطريرك انطاكية حسب ترتيب الرسل

فبناء على هذه الاسباب

نقول مع اباء البيعة والمجامع المسكونية ان الكنيسة الرومانية هى أم الكنائس ورئيستهن . وان من انفصل منها باطلا يدعى انه في الكنيسة . فان من لم يجمع مع البابا يفرق ومن لا يتبعه يتجند للجدال وقصارى الكلام من لايسمع من الكنيسة التى شكلها الرب يسوع على هذا الوجه فهو وثنى وعشار . »

الختام

اليكم الان يا ابناء الطائفة القبطية واخوتنا الاعزاء يوجه الخطاب ويساق الحديث . انكم ما نسيتم كون مصر وطنا لاتنازع في الفضل لموضعها الذي كانت هى به من عقولها وبحبوحة عزها . والى اليوم لانرى أمة تقرنها بالطائفة القبطية الا وفضلتها من حيثية طقوسها وترتيب صلوات قداسها التى جمعت مع

التعاليم اللاهوتية الساميه بمعاني أدبيه رقيقة كما شهد بذلك ملخص اعمال المجمع الاورشليمي الاخير، (١) ما نسيتم كل هذا وكيف يسعكم ان تبعدوه عن ذاكرتكم وهو القليل الذي يبقى لكم من امجاد ابائكم فكيف اذاً نسمع فيما بينكم ان هذه الكتب الطقسية المقدسة لاتشتمل سوى اكاذيب وحكايات فارغة اعلموا اخوتنا الاعزاء ان هذا الكلام جرح الفؤاد اذ انه يخفض من جانب الطائفة القبطية امنا ويمس شرفها ولذا استفزنا مجدها الاول ورأينا من اقدس الواجبات علينا ان نقوم بالدفاع عن كتب طقسها وتبيان ما فيها من ضبط التاريخ وحقيقة العقائد وتفنيد مداعات علامة البراموس آتين لذلك بآيات القديسين وشواهد اعظم المؤرخين. وأظهرنا جلياً مطابقتها التامة مع تآليف اباء الكنيسة القبطية. هذه هي الخطة التى اتبعناها ولا غرو انكم تستحسنونها اذا كان لم يزل يدب في عروقكم روح مجد ابائكم وغيرة شرف طقسكم

والحال اخوتنا الاعزاء ان هذه الكتب وما فيها من التعاليم قد تسلمتموها من اجدادكم وسمعتموها تنطق صريحاً برئاسة الكرسي الروماني وبضرورة التمسك به فمالنا نراكم اذاً منفصلين عنه وهو الصخرة التى لاتزعزعها أبواب الجحيم الشامخة. وهو أرومة كرمة الرب ومن ينقطع منه لايلبث ان تجف رطوبته وتذهب بهجته. تعالوا والتصقوا به تعالوا. فان الكنيسة القبطية ما دامت عاقدة رباط الاتحاد مع الكنيسة الرومانية أم الكنائس ومعلمتهن كما قال الاب البطريرك اثناسيوس العظيم. كانت اسكندريتها واديرتها مهبط اسرار العلم ومحط رحال العلماء ومركزاً لتعليم الدين ونشر الاداب ومدارس حقيقية للفضيلة وحسن الاعتقاد كما يشهد بذلك التاريخ. ولكن عند ما انشقت من العالم الكاثوليكي انقلبت مصر وبئس الانقلاب وصارت تجهل حتى تاريخها. فليعلم اخوتنا الاقباط اذاً ان الامر الذي نحتاجه والخطوة الاولى نحو التقدم

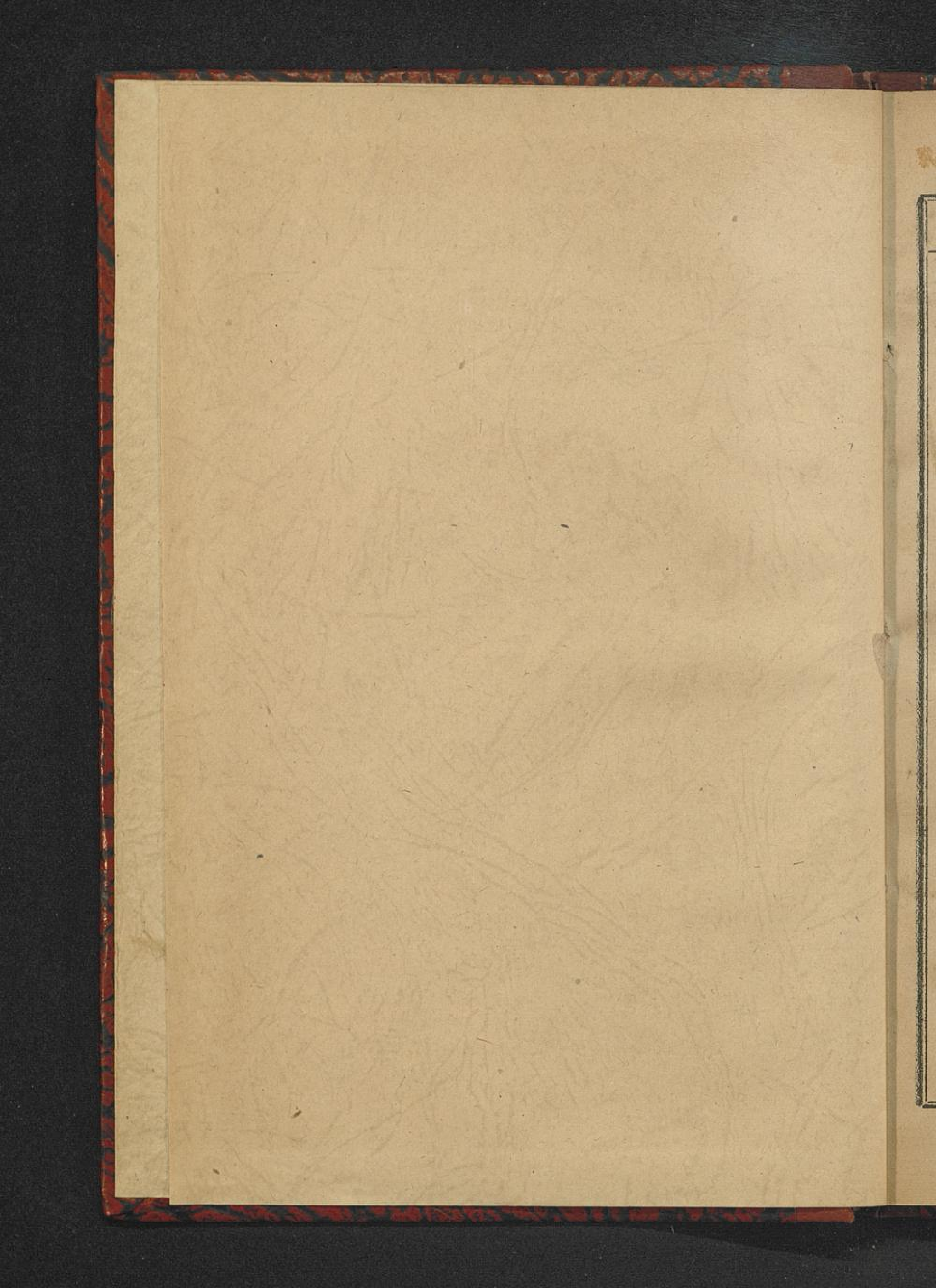
1 «Dans les admirables prières dont se compose la liturgie copte, la plus haute et la Plusexacte théologie et la plus riche poésie sont constamment associées.»
[Compte rendu du cougrès eucharistique 15-22 Mai 1893.]

والنجاح انما هو الاتحـاد مع الكرسى البطرسى مبدا الوحدة ومصـدر النور والتمدن . نعم الاتحاد الاتحاد . فاننا احوج الى الانضمام والائتلاف في ايامنا هذه وقد انحدر نحونا شديداً تيار الشيع البروتستانية . فتقسمت الطائفة وتبددت وتحزبت فمنها من نراه مشيخياً ومن بليموسيا ومن حافياً . كفانا أيها الاخوة من الشقاق والتفرق والتخاذل . فان فى هذا ضياع الامة ودمارها . علينا بالحرى بربط القلوب وضم اعضاء الطائفة واجماع الهمم والقوى لنذب عن التقاليد المقدسـة التى تسلمناها من ابائنا الكرام . ونظهر على اعـداء كنيسة المسيح ونسـترد لمصرنا علمها العابر ومجدها الغابر . أما هو مقصـدكم فما اجمله . أما هو غرضكم فما اشرفه . أما هى غايتكم فما اسماها . ولكن حاشاكم ان تخطئوا الطريق الموديه الى غايتكم هذه وتضلوا في السبيل الموصلة الى قصدكم . قـد علمتم من هذا الكتاب ما هى الطريق والسبيل . الطريق هى الالفة مع الكرسى البطرسى كرسى معـلم القديس مرقص أول بطريرك الاسكندريه فلا تتبعوا طريقاً سواها . والسبيل هو الاتفـاق مع العالم الكاثوليكى فلا تحيدوا عنـه . اسمحوا لى الان ان اوجـه خطابي على وجـه خصوصى الى اعيان الطائفـة ووجهائها قائلا لهم مع صاحب دليل المصريين :

« انتم الذين علت هممهم عن الافكار الحضيضية . انتم أصحاب النبل والمروءة الذين عواطفهم الشريفة تابي الا ارتفاعا . أنتم أهل العزائم الشديدة . لاتكونوا عاجزي الرأى ونادمين على فوات الفرصة حيث لاينفع الندم لانه قد آن وقت احيا بلادكم فى الحق وأيمان اجدادكم . قد آن وقت ضم الكنيسة القبطية ثانية الى مصدر التمدن والنور »

ونقول للشيخ المبجل صاحب الشيبة والوقار القائم بسياسة الكنيسة القبطية وتدبيرها : أنت الجالس على كرسى القديسين اثناسـيوس وكيرلس ، تمسـك بايمانهما ، كن قدوة لابناء طائفتك وأول من يحب الرجوع الى مصـدر الوحدة والحق ، قد كانت لك المنزلة الاولى في كنيسـة الله بعـد صاحب كرسى رومة

ولكن يالاسف هذا المنصب السامى قد عدمته من اجيال مديدة ، سيرد لك اذا عقدت رباط الاتحاد مع الكرسى البطرسى ، اننا نستحلفك بالمجد الذي ستظفر به ، نستحلفك بايمان اثناسيوس وكيرلس ، نستحلفك بخلاص نفسك ان ترد كنيسة الاسكندرية الى كنيسة الله ، فان في هذا جمال الكنيسة القبطية وروتقها وبهذا فقط يعود لها اقتدارها وعظمتها ،





Kitāb al-ḥaqq al-ǧalīl fī 'r-radd ʿalā 's-suryānī ad-daḫīl

Qilādah, Būlus

Miṣr, 1895

urn:nbn:de:hbz:5:1-200564